محمد بن سعيد رشيد البارودي

بلاد الشام أرض رباط وجهاد وحسم إلى يوم القيامة

دراسة حديثية تاريخية في رصد الأحداث

- المعركة الأخيرة مع اليهود وتدمير الدولة العبرية
- ظهور المهدي
- فتح القسطنطينية
- خروج الدجال
- نزول عيسى عليه السلام
- خروج يأجوج ومأجوج



دار عمار

بلاد الشام أرض رباط وجهاد
وحسم إلى يوم القيامة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٢٦١ / ٧ / ١٩٩٩)

رقم التصنيف	: ٢٤٧
المؤلف ومن هو في حكمه	: محمد بن سعيد رشيد البارودي
عنوان الكتاب	: بلاد الشام أرض رباط وجهاد وحسم الى يوم القيامة
الموضوع الرئيسي	: ١ - الديانات
	٢ - التاريخ العربي الاسلامي
بيانات النشر	: عمان / دار عمار للنشر

* تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٨٤١/ ٧/ ١٩٩٩

دار عمار للنشر والتوزيع

عمان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء
تلفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ ص.ب ٩٢١٦٩١ عمان - الأردن

بلاد الشام أرض رباط وجهاد وحسم إلى يوم القيامة

دراسة حديثية تاريخية في رصد الأحداث كما أنبأنا عنها النبي صلى الله عليه وسلم
وكما أشار إلى بعضها القرآن الكريم إلى أن تقوم الساعة

المؤلـف

محمد بن سعيد رشيد البارودي

المحاضر سابقاً في كليات المعلمين

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار عمار

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ با لله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .. وبعد .

في هذه الأيام الحالكة من حياة أمتنا وقد تداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، وتمزقت أمتنا وتشتتت إلى دويلات صغيرة غثاء كغثاء السيل، يتبارى في الكيد لها كل حاقد وحسود من النصارى واليهود. والأمة كأنها مسلوبة القيادة لا تملك من أمرها شيئاً ":كأننا غنم نُساق إلى شفار المجزر".

فكان لا بد من الرجوع إلى كتابنا الكريم، وحديث نبينا محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌ يوحى. لعلَّ بارقةَ أمل، أو قبساً من هدي في كشف هذا الليل الحالك المدلهم. فإذا بكتابنا الكريم وبحديث نبينا المصطفى عليه الصلاة والتسليم خير ما نستشف فيهما من أحداث التاريخ، وما يقع من أمور عظام. فإنهما لا يزالان المصدرين الصادقين لكثير مما يجري في هذا الكون من أحداث؛ بل إن تاريخنا العظيم ينبوع ثرٌّ لقبسات مضيئة تبعثُ الأمل بمستقبل جديد لدين الإسلام وعودة عزٍّ لأمة الإسلام؛ فإن الكيد العالمي الصهيوني والنصراني والوثني قد استشرى وظهر الفساد في البر والبحر والله لا يحب الفساد.

ولقد وقع اختياري للحديث عن بلاد الشام، وبيان فضلها، علماً أن المدينة ومكة أفضل منها، إلا أن هاتين المدينتين ـ حفظهما الله ـ لم تتعرضا لما تتعرض له بلاد الشام . فهي أعقد وضع يهم الأسرة الدولية بسبب زرعهم اليهود في فلسطين . وقد أدرك النبي ـ ﷺ ـ ما سوف تتعرض له بلاد الشام من الغزو الصليبي ، فرغَّبَ المسلمين في سكنى

الشام للمحافظة عليها والزود عنها وما انتزاع فلسطين وإعطائها لليهود إلا رأس جسر للسيطرة على بلاد الشام.

كما ذكر رسول الله ﷺ أن عيسى عليه السلام ينزل قبل قيام الساعة في المنارة البيضاء شرقي دمشق ، وفي هذا إشارة إلى أن دمشق عاصمة للإسلام إلى قيام الساعة إعزازاً للدين . ونصرة للموحدين وغوطتها عند الملاحم فسطاطُ المسلمين . وقد خصها الله بملائكته المقربين ، وجعلها في كفالة رب العالمين وجعل فيها وفي بيت المقدس الطائفة المنصوره إلى يوم الدين . ودمشق هي الموصوفة بالقرآن الكريم " وآويناهما إلى ذات قرار ومعين" .

ولقد وفقني الله سبحانه فقمت بجمع مادة هذا البحث من عدة مصادر أهمها "إتحاف الجماعة" للشيخ حمود بن عبدالله التويجري غفر الله له . و "مختصر الرسالة في أشراط الساعة" للأستاذ محمد علي المطوع، و "أشراط الساعة" لسلامة جبر، ومن صحيح البخاري ومسلم وكتب السنن ومسند الإمام أحمد وجامع الأصول لابن الأثير، ومن كتاب الأرض المقدسة لإبراهيم العلي، وبما فتح الله عليَّ من ربط وتحليل وإبراز لأدوار اكتنفها بعض الغموض. وجزى الله الجميع على ما قدموا من جهد لإعطاء فكرة تتعلق بهذه الفترة العصيبة من حياتنا.

ومن خلال دراستي لأحاديث أشراط الساعة وما يقاربها، اجتهدتُ بالتوفيق ما بين الأحاديث وتكملة بعضها بعضاً، بما يتفق مع روح الأحاديث والواقع. فإن وُفِّقْتُ فمن الله سبحانه وإن أخطأت فقد بذلت جهدي .. وأرجو من الله مغفرة تقصيري. وما كتابتي في هذا الموضوع، إلا لإعادة الثقة في نفوس أبناء هذه الأمة الذين زاغ أو كاد يزيغ قسم كبير منهم لانبهارهم بما عند أعدائنا من علوم كونية. وثقافةٍ تقنيةٍ وتكنولوجيا عالمية. وضع أجدادنا الأسس لهذه العلوم ولكن شاءت إرادة الله أن يكون ظهورها على أيدي أعداء هذه الأمة. ونسينا أن المستقبل لهذه الأمة ما تمسكت بدينها وحكمت بشريعتها التي شرعها الله لها.

قال سبحانه: ﴿إن الدين عند الله الإسلام (١٩)﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (٨٥)﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين (٦٩)﴾ [العنكبوت].

أضف إلى ذلك أن بلاد الشام قد نالها من الكيد ما لم ينل غيرها ، ولكونها قلب الأمة الإسلامية، فهي مستهدفة، لتبقى في ضياع وفساد. قال ﷺ : " إذا فسد أهلُ الشام فلا خيرَ في هذه الأمة". لذا نجد الغرب الصليبي اليهودي حريصاً على إفساد أهل الشام. فأردتُ بكتابتي هذه أن أساهم بشحذ همم شباب هذه الأمة لإحياء دورهم في قيادة أمتهم واسترداد عزهم وسيادتهم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (١١٠)﴾ [آل عمران]. ومعلوم أن هذه الخيرية لهذه الأمة مرتبطة بقيامها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طبقاً لتعاليم دينها الحنيف .

ولا بد من إعطاء فكرة واضحة لمسيرتنا الإسلامية منذ عهد الدولة الإسلامية الأولى إلى وقتنا الحاضر، وما اعتراها من مد وجزر لأخذ العبرة والحذر.

فإن قاعدة العبودية لله وحده، وتحكيم شريعة الإسلام منهجاً وسلوكاً وتنظيماً في الأرض هو المنطلقُ لمسيرة الإسلام والمسلمين عبر التاريخ فما إن توطد الحكمُ الإسلامي في الجزيرة العربية حتى ساح المسلمون في الأرض ينشرون الأمن والأمان والعدل والإحسان بين الناس، فأزالوا أكبر دولتين في العالم: فارس والروم، وحرروا الشعوب من عبودية العباد. إلى عبودية رب العباد وانتشر الإسلام من الصين شرقاً إلى المحيط الاطلسي غرباً، ومن أواسط آسيا شمالاً، إلى البحر العربي جنوباً، حتى منتصف القرن الثالث الهجري. ثم بدأ يسري في الأمة اللهو والعبث والترف حتى أواخر القرن الخامس الهجري. حين بسط السلاجقة الأتراك سيطرتهم على بغداد وقسموا بلاد الخلافة إلى خمس ممالك. فمزقتها

الخلافات الدنيوية والصراعات الدموية. مصداقاً لقوله ﷺ: "لتظهرنَّ التركُ على العرب حتى تُلحقها بمنابت الشِّيحِ والقيصوم". رواه أبو يعلى إتحاف الجماعة ٣٧٢/١ وفي الباب أحاديث متفق عليها كلها تثبت قتال الترك للعرب . والمقصود بالترك الكفار وليس مَنْ أسلم منهم فقد أصبحوا من الأمة الإسلامية ، وفي حديث آخر: "أول ما يسلب أمتي ملكها الأتراك". رواه الطبراني في الكبير والأوسط . قال الهيثمي في "المجمع": فيه عثمان بن يحيى لا أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح . إتحاف الجماعة ٣٨٣/١ .

ثم أخذت الأقطار الصليبية الأوربية تتجه نحو الأرض المقدسة " بلاد الشام" وأرسلوا الحملات الصليبية تَتْراً الحملة تلو الحملة. فاحتلوا فلسطين وجزءاً من بلاد الشام غربها وشمالها دام في بعضها مئتي سنه".

واستمر جهاد المسلمين ضد الصليبيين دون توقف. وتداول المسلمون والصليبيون النصر والهزيمة. فكلما مَنَّ الله على المسلمين بقادة مؤمنين أمثال عماد الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، وبعلماء مجاهدين أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، و الإمام العز بن عبدالسلام رحمه الله، حرروا قسماً من البلاد. لأن إمكاناتهم محدودة عدة ووجوداً. فكان النصر يتنزل عليهم من السماء، وكلما دب الصراع على السلطة والابتعاد عن منهج الإسلام طمع فيهم الأعداء.

وقبل طرد بقايا الصليبيين من بلاد الشام كان الاجتياح التتري لبلاد المسلمين عام ٦٥٦هـ الموافق ١٢٥٨م الذين خربوا البلاد وقتلوا العباد - فأتى الله بالمماليك ليحكموا مصر. وأخذ السلطة السلطان قطز عام ٦٥٧هـ . وكان ارتباطه بالإسلام عميقاً. فأعلن الجهاد فكانت معركة عين جالوت بفلسطين عام ٦٥٨هـ بعد معركة حطين عام ٥٨٥هـ التي حررت لفترة معظم فلسطين - بداية النهاية للاجتياح التتري رغم تفوقهم الساحق عدداً وعدةً وكفاءة ومعنويات عالية لم تنهزم خلال خمسين عاماً من المعارك وبفترة وجيزة، وذلك لأن جيش قطز "جيش إسلامي" قام لنصرة الإسلام والدفاع عن أرض الإسلام، فكان له النصر.

ثم تابع السلطان بيبرس وسيف الدين قلاوون وابنه تحرير بلاد الشام من التتار وبقايا الصليبيين، وانتهى وجودهم عام ٦٩٠هـ ١٢٩٢م. ثم أخذ الراية الإسلامية العثمانيون، وانتشر الإسلام في شرق أوربا، ودام أكثر من أربعة قرون منذ عام ١٥١٦م . فالراية التي رفعت لتحرير البلاد راية إسلامية و لم تكن راية قومية أو إقليمية أو علمانية.

والقادة الذين حرروا البلاد ونشروا الإسلام تبنوا الإسلام فكراً ومنهجاً وعقيدةً ووسيلةً للحشد والتعبئة. والآن لا يمكن لهذه الهجمة الصليبية اليهودية من الاندحار إلا إذا بقيت الفئة المجاهدة المنصورة التي بشرنا فيها نبينا الكريم محمد ﷺ مجاهدة وملتزمة بالإسلام، عقيدةً وفكراً ومنهجاً ووسيلةً، فانتصارات المسلمين مرتبطة بالتزامهم بالإسلام. كما أن هزائمهم مرتبطة بتنازعهم وبعدهم عن منهج الإسلام فالإسلام هو الوسيلة المثلى لحشد وتعبئة الطاقات لتحرير بلاد الإسلام من الإستعمار والتبعية والسلطوية والهيمنة الغربية.

وقد أنبأنا الله سبحانه بتغيير واقع هذه الأمة إذا غيرت من واقعها وتمسكت بعرى دينها الحنيف بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (١١) ﴾ [الرعد]. وإننا إن شاء الله على هذا التغيير سائرون وبعرى ديننا الحنيف متمسكون.

محمد بن سعيد رشيد البارودي

في ٣٠ محرم عام ١٤١٩هـ

الموافق ٢٥ أيار عام ١٩٩٨م.

أبها – السعودية

البحث الأول

أ ـ فضائل بلاد الشام:

إن لبلاد الشام من المكانة في كتاب الله الكريم. وفي أحاديث النبي ﷺ الشيء الكثير فهما يبينان لنا ما حباها الله تعالى من الخير والبركة، وما تميزت به من خصائص. ذكرها مختصرةً شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: " ففيها الطور الذي أقسم الله به في سورة التين والذي كلّم الله عليه موسى. وفيها المسجد الأقصى الذي بناه إبراهيم الخليل عليه السلام بعد بناء الكعبة بأربعين عاماً. وفيها عمود دينه وكتابه. والطائفة المنصورة من أمته. وإليها المحشر والمعاد". قال تعالى: ﴿لأول الحشر(٢)﴾ [الحشر] .

ففي كتابه الكريم قال سبحانه في أول سورة الإسراء ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾.

فالمسجد الأقصى هو بيت المقدس. الذي بناه إبراهيم عليه السلام بعد المسجد الحرام بأربعين سنة. ولكن بنيانه على التمام كان على عهد سليمان عليه السلام. والأرض التي بارك الله من حوله هي بلاد الشام. وفلسطين جزء منها . فالمسجد الأقصى معدن الأنبياء من لدن إبراهيم عليه السلام إلى عهد نبينا محمد ﷺ. ولهذا جُمعوا له هناك. فأمَّهم في محلتهم ودارهم. فدل على أن راية النبوة انتقلت من يد بني إسرائيل. وتسلمت الراية الأمة العربية التي أصبحت جزءً من الأمة الإسلامية بشخص نبيها الأعظم محمد ﷺ وصحبه الكرام ، ومن تبعهم وسار على دعوتهم إلى يوم الدين."ومبعث الدين من مكة وتمام ظهوره على يد المهدي بالشام . وفيها الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة" مناقب الشام وأهله ص٧٣.

أما الأحاديث التي تبين فضل بلاد الشام على سائر البلاد فإليكم طرفاً منها :

١- تمام أمر الدين وظهوره سيكون في بلاد الشام:

١- عن عبدالله بن حوالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :رأيت ليلة أسري بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤه تحمله الملائكة. فقلت ما تحملون؟ فقالوا عمود الإسلام أُمرنا أن نضعه بالشام" وبينما أنا نائم رأيت عمود الكتاب اختلس من تحت رأسي، فأتبعته بصري، فإذا هو نور ساطع حتى وضع "بالشام" قال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة. وعزاه الشيخ الألباني في فضائل الشام للربعي ص ٢٨ ولابن عساكر.

٢- وعن عبدالله بن عمرو وأبي الدرداء رضي الله عنهم قالا : قال رسول الله ﷺ: إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي. فنظرت فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام ". أخرجه الحاكم ٥٠٩/٤ وأبو نعيم في الحليه ٢٥٢/٥ وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في المجمع ٥٨/١٠ رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد في أحدها ابن لهيعة وهو حسن الحديث. وبقية رجاله رجال الصحيح . وقد صححه الشيخ الألباني في فضائل الشام للربعي ص١٣ رقم /٣ .

٣ـ ومن حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب اختلس من تحت رأسي ، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حيث تقع الفتن بالشام" رواه أحمد في المسند : ١٩٨/٥. وفضائل الصحابة /١٧١٧/ وأبو نعيم في الحلية ٩٨/٦ والبزار برقم/٣٣٣٢/ كشف الأستار. وقال الهيثمي في المجمع : ٢٨٩/٧رواه البزار ورجاله رجال الصحيح – وقال أيضاً في ٥٧/١٠ رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح .

هذه الأحاديث تبين، أن هذا الدين الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إنما هو وحي يوحى. فمن مكة مهد جزيرة العرب كان مبعثه ، وفي الشام تمامه وظهوره إلى يوم القيامة.

وبهذا تظهر عظم المسؤولية الموكولة لأهل الشام، الملقاة على عاتقهم. حيث أن الله سبحانه وتعالى، قد عهد إليهم بحماية هذا الدين في بلادهم والدفاع عنه، حين أمر ملائكته بوضع عمود الإسلام بأرضهم، وأن معسكر الإيمان والأمان عند وقوع الفتن هي بلاد الشام.

٢- بسط الملائكة أجنحتها على الشام :

عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يا طوبى للشام! ثلاثاً، قالوا يا رسول الله وبم ذاك ؟ قال: تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام" أخرجه الترمذي ٣٩٥٤ ، وأحمد ١٨٤/٥ ، والحاكم ٢٢٩/٢ ، والطبراني في الكبير برقم ٤٩٣٣٠ وابن حبان في صحيحه. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ورواه الهيثمي في المجمع ٦٠/١٠ ورجاله رجال الصحيح.

يتضح لنا من خلال هذا الحديث دعاء النبي لأهل الشام بكلمة "ياطوبي" التي تعني الراحة وطيب العيش. وأن الملائكة باسطة أجنحتها عليها حفظاً وحراسة وبركةً. وفي هذا دلالة على مدى رعاية الله وعنايته الممنوحة لأهل الشام. فطوبى وألف طوبى لكم يا أهل الشام..!!

٣- الشام أرض المحشر والمنشر:

- عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الشام أرض المحشر والمنشر[١] "وروته ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ وقريب منه حديث بهز بن حكيم، قلت يا رسول الله أين تأمرنا ؟ فأومأ بيده نحو الشام وقال : إنكم محشورون رجالاً

(١) المحشر: الإحياء بعد الموت والسوق إلى أرض المحشر – المعجم الوسيط. المنشر: إحياء الموتى وانتشارهم.

وركباناً وتُجَرُّون على وجوهكم" وفي رواية ستكون فتنه قيل: يا رسول الله أين تأمرنـا ؟ قال : عليكم بالشام" أخرجه أحمد في المسند ٥/٥٠٣ الـترمذي رقـم /٢٤٢٤ ، والربعي في فضائل بلاد الشام رقم ١٣ والحاكم ٤/٥٦٨ وصححه ووافقه الذهبي . وقـال الحـافظ في الفتح سنده قوي . وقال الترمذي عنه حسن صحيح .

– وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما. قال رسول الله ﷺ: ستخرج نار من نحـو حضرموت تحشر الناس. قلنا ما تأمرنا ؟ قال عليكـم بالشـام" رواه الـترمذي بسـند حسـن صحيح/٢٢١٧/ وأحمد في المسند ٢/٨ والهيثمي في المجمع ١٠/٦٦ رواه أبو يعلى ورجالـه رجال الصحيح ·

٤– أرض الشام خيرة الله من أرضه يجتبـي إليها خيرته من عباده:

– عن عبدالله بن حوالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : سـيصير الأمـر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة. جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق: قلت خـر لي يـا رسـول الله. قال: عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده. فـإن أبيتـم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم. فإن الله تكفـل لي بالشـام وأهلـه" أخرجـه أبـو داود /٢٤٨٣/ وأحمد في مسنده/٤/١٠٠/ والحاكم ٤/٥١٠ وقال عنه صحيح الإسناد ووافقـه الذهبي. وكذلـك رواه العربـاض بـن سـارية" عنـد الطـبراني في الكبـير والهيثمـي في مجمـع الزوائد وقال رجاله ثقات.

ومن حديث أبي أمامة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ : "صفـوة الله مـن أرضه الشام. وفيها صفوته من خلقه وعباده. وليدخلن الجنة من أمتي ثلة لا حساب عليهـا ولا عذاب" وفي هذا المعنى رواه حذيفة بن اليمان ومعاذ بن جبـل – رضـي الله عنهمـا – وهما يستشيران الرسول صلى الله عليه وسـلم في المـنزل.ولـه في روايـة "مـن خـرج منهـا فبسـخطه ومـن دخلهـا مـن غيرهـا فبرحمتـه".أخرجـه الطـبراني في الكبـير برقـم (٧٧١٨) والهيثمي في مجمع الزوائد" ١٠/٥٩.

من هذه الأحاديث يتبين عظم الأمانة الموكولة لأهل الشام والمحافظة عليهم. فهم يشكلون الصف الأمامي في المعركة القادمة. فهي خيرة أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده. وقد تكفل الله تعالى بحماية الشام فلا يُخشى عليها الضيعة . والخيرة التي أعطاها الله تعالى لأهل الشام إنما هي للمؤمنين من أبنائها .

٥- أهل الشام ميزان للصلاح والفساد في أمة الإسلام:

من حديث معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم" لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة" أخرجه الطيالسي برقم ١٠٧٦ وأحمد في المسند ٤٣٦/٣ والطبراني في الكبير ٢٧/٢٠ وأخرج الطرف الأول منه ابن حبان كما في الاحسان ٧٢٥٨ وأبو نعيم في الحلية ٢٣٠/٧ وغيرهم ورواه الترمذي (٢١٩٢) وقال عنه حسن صحيح وابن ماجة / ٦ واقتصر على الجزء الثاني ، والحديث صحيح مختصر الرسالة ص ٨٨.

هذا الحديث يشكل بالنسبة لأمة الإسلام ميزاناً يقاس فيه مدى قرب الأمة أو ابتعادها عن دينها. كما يبين لنا الجهد الهائل الذي يبذله أعداؤنا لافساد أهل الشام حتى يسهل عليهم السيطرة على بقية بلاد المسلمين. ولا بد من التنبيه أن فساد أهل الشام لن يؤثر على الطائفة المنصورة التي صرحت بعض الأحاديث الصحيحة أنها في بلاد الشام. ولذا يجب الحرص على نصرة هذه الطائفة . وقال الإمام العز بن عبدالسلام في رسالته ترغيب المسلمين في سكنى الشام " إذا حصل الفساد في أهل الشام فهو فيهم أخف من غيرهم". وهذا في رأيي حسب الأحوال.

٦- دعاء النبي ﷺ بالبركة لأهل الشام والحث على السكنى فيها:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا وفي نجدنا: فأعادها الثانية. ثم قالوا يا رسول الله وفي نجدنا: وفي الثالثة أظنه قال: هناك الزلازل والفتن وفيها يطلع الشيطان" رواه البخاري وأحمد

والترمذي برقم ٢٢٦٨ الجزء الأخير منه وقال حسن صحيح. وهذا يدل على تفضيل الشام على اليمن وتفضيلهما على نجدٍ وغيرها عدا مكة والمدينة.

ونصح النبي ﷺ بسكنى الشام دليل على أفضليتها وقد مر هذا في حديث ابن حوالة.

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال:" لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام، ويتحول شرار أهل الشام إلى العراق". أخرجه أحمد في المسند (٢٤٩/٥) وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ورجاله رجال الصحيح كما أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦١/١٠.

٠٧ أرض الشام أرض الحشد والرباط إلى يوم القيامة:

عن سلمة بن نُفيل رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله أزال الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا لا جهاد " فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه قال: كذبوا الآن الآن جاء القتال. ولا يزال فريق من أمتي يقاتلون على الحق. ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة. والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة. ويوحى إليَّ أني مقبوض وأنتم تتبعوني أفناداً يضرب بعضكم رقاب بعض وعقر دار المؤمنين الشام". أخرجه النسائي ٢١٥/٦ وأحمد في المسند ١٠٤/٤ ابن سعد في الطبقات ٤٢٧/٧ والطبراني في الكبير ٦٠/٧ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٠/١٠ ورجاله ثقات والحديث إسناده صحيح".

ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سيكون هجرة بعد هجرة. فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم عليه السلام. ويبقى في الأرض شرارها تلفظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الله سبحانه، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير". أخرجه أبو داود برقم ٢٤٨٢ ويقويه ما أخرجه الحاكم برقم ٥٤٠/٤ وقال عنه صحيح على شرط

الشيخين ووافقه الذهبي. فالحديثان يقوي بعضهما بعضاً كما قاله الشيخ الألباني في تعليقه على فضائل أهل الشام للربعي ص ٧٩.

يتبين من هذه الأحاديث أن أرض الشام أرض مباركة، وأرض رباط دائم منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الساعة. وأن فلسطين جزء منها، وهي أرض التحدي وميدان الصراع والحرب مع أعداء الإسلام. وهي أرض الحسم بين المسلمين واليهود أولاً، وبينهم وبين الروم ثانياً، وبينهم وبين الدجال ثالثاً. لذا فضلها الله على سائر البلدان. كما أشار إلى أن أصل الإيمان وموضعه بالشام. ومنزل الأمن والإيمان فيها. وموضع عناية الله ورعايته. فهنيئاً لك ياشام.

وكلما قرأت فضائل بلاد الشام ازددت إدراكاً لأهميتها ولِمَا يحرص ويتكالب أعداء الإسلام من اليهود والنصارى بالسيطرة على أرضها. وتشتيت شمل أبنائها بالهجرات المتتالية، وإفساد أهلها بما يبثونه من إلحاد وعهر وترف وتفسخ. لذلك يوجهون إليها الجيوش لتدميرها وسحق أبنائها والسيطرة على ثرواتها . ويكفي أن أكثر من ثلاثة ملايين فلسطيني مشتتون في القارات الست.وأن قسماً كبيراً من رجالاتها الإسلاميين مشتتون في بقاع الأرض.

فقد وجهوا إليها الحملات الصليبية المتتالية. وكان أعظم الملاحم وأكثرها شراسة وبطشاً بالعلماء والصالحين من عباد الله. فقد قتلوا في القدس فقط سبعون ألفاً. وغاصت الفرسان بالدم وجثث المسلمين إلى الركب أواخر القرن الخامس الهجري.

وهذه الحروب إنما كانت بإيحاء من اليهود وتدبيرهم، وحينما استيقظت همم بعض أفراد الأمة من غفلتها، ردت هؤلاء الحاقدين وتحطمت جموعهم فكانت معركة حطين عام ٥٨٣هـ بقيادة صلاح الدين الأيوبي رحمه الله قاضية على أحلامهم. وكانت النهاية على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون. حيث انتهى آخر آثار هذه الحملات الصليبية .

ثم جاءت أعتى حملة تعرض لها تاريخنا الإسلامي. وهي مجيء جموع التتر

عـام ٦٥٦هـ جحافلهم بتحريض من اليهود، وتشجيع من ابن العلقمي الشيعي عليه وعلى اليهود لعائن الله، فعاث هؤلاء التتار في أرض المسلمين فساداً وقتلاً وتشريداً وتخريباً لكتب العلم ما الله به عليم.وسقطت على أيديهم بغداد مقر الخلافة العباسية. وأقاموا مذابح لم يشهد التاريخ مثلها. حيث قتلوا في بغداد وحدها ما يزيد على المليونين من البشر.

ولكن شاء الله أن تتحطم جموعهم على أرض فلسطين على أيدي المؤمنين فكانت معركة عين جالوت على أيدي المماليك، الذين أُتي بهم من أجل إظهار السلطان فشاء الله أن يكونوا جنداً للإسلام ليحطم بهم جموع التتار على أرض فلسطين.

و لم ييأس أعداؤنا اليهود والنصارى من الكيد للإسلام والمسلمين الموجودين على أرض الشام. ومحاولة السيطرة عليها وتمزيق وحدتها وزرع الاحقاد والضغائن في نفوس أبنائها. ففي بداية هذا القرن غرسوا خنجراً مسموماً في قلب بلاد الشام. من خلال وعد روسي قبل صدور وعد بلفور بيومين. اللذان أعطيا فلسطين وأرضها لليهود كوطن قومي لهم. كما استعمروا كل بلاد الشام ووضعوها تحت الاستعمار الانكليزي والفرنسي. ليمنحوا كل التسهيلات من أجل هجرة اليهود إلى فلسطين. وزودوهم بالأسلحة ووفروا لهم الحماية والتدريب في معسكرات الجيش البريطاني. في الوقت الذي ضيقوا على أبناء فلسطين من خلال حملات القمع والإرهاب والإعدام لمجرد الوشاية أن أحدهم يملك قطعة سلاح لحماية أرضه وعرضه . وأقاموا المستوطنات اليهودية تحت حراب ومدافع الإنكليز. وتحت سمع وبصر العالم .

وحين واتت الفرصة ورأى أعداء هذه الأمة من الإنجليز أن الظروف قد تهيأت لإقامة الدولة العبرية الصهيونية، أعلن الانكليز انسحابهم من أرض فلسطين عام ١٩٤٧م. لتقوم بذلك دولة أبناء القردة والخنازير وشذاذ الآفاق. وأمدها سائر أعدائنا من الشرق والغرب بحبال التمكين وأسباب القوة والمنعة. ومن حكام بعض البلاد بالتآمر والتواطؤ والخيانة. فانسحب الجيش العراقي بعد أن كان على مقربة من تل أبيب بحجة "ماكو

أوامر". ثم لتمتد بعدها الدولة المسخ لتلتهم البقية الباقية من أرض فلسطين والجولان وصحراء سيناء عام ١٩٦٧م بمؤامرة كان لبعض حكام العرب النصيب الأوفر فيها.

ورغم كل ذلك فإن الله الذي تكفل بالشام وأهله رعايةً وحفظاً وحمايةً سيرد كيد هؤلاء الأعداء في نحورهم. ويجعل بلاد الشام مقبرة لليهود كما كانت مقبرة لكل الغزاة. ولكن ذلك كله مشروط بتغيير ما في أنفسنا وعودتنا إلى ديننا كما أشار إلى ذلك نبينا ﷺ "لتقاتلن اليهود" الحديث .

وما الجهود التي تبذلها بعض الحكومات في البلاد العربية والإسلامية بالإضافة إلى ما تبذله الحركات الإسلامية المنتشرة في بقاع الأرض وعلى رأسها حماس إلا إرهاصات للقضاء على الدولة العبرية المفسدة في الأرض. التي يحملها عنصريتها وعلوها وغطرستها الاستهانة بجميع حكومات العالم. التي تغض الطرف عن استعلائها وغطرستها بل هي التي تدفعها إلى ذلك ولو شاءت هذه الدول لأوقفتها عند حدها ! ولكن ما العمل؟ إذا كان معظم رؤساء هذه الدول تحت تأثير ونفوذ اللوبي الغربي اليهودي الأخطبوط الذي يطوق بأذرعته معظم القادة والمتنفذين في دول العالم الذي يملك زمام القوة والسيطرة. وما مجلس الأمن إلا ألعوبة بأيديهم.

يقول الأستاذ إبراهيم العلي في كتابه الأرض المقدسة: " إذا كان أهل الشام وأرض الشام في كفالة الله وحفظه فلماذا كل هذا الأذى الذي يلحق بالشام وأهله ..؟ وجواب ذلك من وجهين:

الأول : أن الله سبحانه إذا أراد اصطفاء قوم فإنه يبتليهم إبتلاء تلو الابتلاء ليختبر بذلك صبرهم، وليرفع من درجاتهم، ويعلي مكانتهم.

وتحقيق ذلك قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم (٣١)﴾ [محمد]. ويقول في سورة آل عمران: ﴿وليمحص الله الذين آمنوا

ويمحق الكافرين (١٤١) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين (١٤٢) ﴾ .

فلا ضير في هذا الأذى والابتلاء إذا كانت النتيجة رفع الدرجات وعلو المقامات.

الوجه الثاني : إن كل ما يصيب الفئة المجاهدة المنصورة من كيد أعدائها ومكرهم إنما هو مجرد أذى، لن يصيب عقيدة ودين هؤلاء النخبة التي أخذت على عاتقها مقارعة اليهود ومن وراءهم. فرغم كل الجهود المبذولة من اليهود والصليبيين، ورغم الأموال الهائلة والمخططات واللقاءات والمحاورات للترويض والالتفاف على هذه الحركات، لن يفت ذلك في عضد المؤمنين المجاهدين بفضل تأييد الله لهذه الفئة، والواقع يدل على فشل أعداء الأمة الإسلامية، ومعهم المنظمة التي أتت لحماية اليهود لقاء لعاعات من الدنيا للقضاء على جهاد أبناء فلسطين في انتفاضتهم المباركة. وما هي إلا توطئة للمعركة الكبرى الآتية بإذن الله.

٨- بيت المقدس أحد الأماكن التي تشد إليها الرحال:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى ومسجدي هذا" متفق عليه والحديث رواه عدد من الصحابة.

- وعن أبي ذر رضي الله عنه أن الصلاة في المسجد الأقصى تعدل مائتين وخمسين صلاه فيما سواه من المساجد". رواه الطبراني والهيثمي في مجمع الزوائد وقال عنه رجاله رجال الصحيح. وعزاه الألباني لابن عساكر. ورواية "خمسمائة" رواها الطبراني عن أبي الدرداء وابن عبد البر عن البزار. قال الهيثمي سنده حسن. ورواها البيهقي في شعب الإيمان عن جابر ورمز المصنف لحسنه. فيض القدير ٢٢٨/٤.

- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن

سليمان عليه السلام سأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين وأرجو أن يكون أعطاه الله الثالثة : سأله أن يحكم بحكم يواطىء حكمه فأعطاه. وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه. وسأله أيما عبد أتى بيت المقدس لا يريد إلا الصلاة فيه أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه" صححه الحاكم ووافقه الذهبي وأحمد شاكر.

ويقول العز بن عبدالسلام رحمه الله : "لقد أخبر السلف وشاهد الخلف، أن من ملك دمشق من المسلمين، فبسط على أهلها الفضل ونشر فيهم العدل، فإن النصر يتنزل عليه من السماء. مع ما يحصل له من ود في قلوب الأبرار والأولياء والأخيار والعلماء. ومع ما يلقيه سبحانه وتعالى من الرعب في قلوب الأضداد والأعداء. ومن عاملهم بخلاف ذلك أحل الله به الضراء والبأساء وأخذهم بالجبروت والكبرياء، فإن الله لا يهمله بل يعاجله باستلاب ملكه في حياته. أو بإلقائه في أنواع البلاء وأبواب الشقاء. وذلك لأنهم في كفالة رب لأرض والسماء". ترغيب أهل الإسلام تحقيق الدكتور عبدالله بن إبراهيم الوهيبي أستاذ مساعد جامعة الإمام ص١٥٩ "العز بن عبدالسلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير" .

٩- هجرة أهل الخير من العراق إلى الشام. وهجرة أهل الشر من الشام إلى العراق:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام. ويتحول شرار أهل الشام إلى العراق" رواه الإمام أحمد بسند حسن ٢٤٩/٥. ورواه ابن أبي شيبة وابن عساكر في تاريخه بنحوه. إتحاف الجماعة ١٧٩/٢. والحديث صحيح لشواهده مجمع الزوائد ٦١/١٠ .

- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: " يأتي على الناس زمان، لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام" رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي في تلخيصه . ووراه عبدالرزاق في مصنفه. المرجع السابق نفسه.

- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: " يوشك أن تطلبوا في

قراكم هذه طستاً من ماء فلا تجدونه. ينزوي كل ماء إلى عنصره. فيكون في الشام بقية المؤمنين والماء". رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي في تلخيصه . المصدر السابق نفسه.

– عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إنها ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها ، تلفظهم أرضوهم تقذرهم نفس الله، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا. وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلف." رواه الإمام أحمد. وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح عدا شهر بن حوشب وهو ثقة. ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده، والسجستاني في سننه. والحاكم في مستدركه. وصححه ووافقه الذهبي في تلخيصه ورواه أبو نعيم في الحلية بنحوه. إتحاف الجماعة ٢/٢٦٤.

هذه الأحاديث تفيد أنه عند تقارب الزمان : تكون بلاد الشام ملاذاً للأخيار ومنفراً للأشرار وموطناً لبقية المؤمنين والماء الذي هو أصل الحياة "وجعلنا من الماء كل شيء حي" سورة الأنبياء. فلا حياة بلا ماء وبلاد الشام هي مهاجر إبراهيم عليه السلام. ولا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها عليهم تقوم الساعة.

ب ـ الطائفة المنصورة :

المستقبل مجهول للإنسان ومهما أوتي من صدق الحدس وقوة الإدراك فإن كلامه يبقى من باب التوقعات التي يمكن أن لا تقع.

وقد يحدث مع الإنسان وقوع بعض هذه التوقعات قدراً وهذا غالباً ما يعتمد على بعض المقدمات.

أما أحاديث الرسول محمد ﷺ، بما يتعلق بمستقبل هذه الأمة، فإنما هو وحي إلهي ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾. ولقد جاءت أحاديث الرسول ﷺ تنبىء عن حوادث كثيرة ستقع لهذه الأمة، من باب التحذير والتعذير إشفاقاً على هذه الأمة

الإسلامية. فهي ليست تكأة لأصحاب المنهج التخاذلي، الذين يعزون عجزهم وتقصيرهم إلى هذه الفتن التي تحدث عنها النبي ﷺ. فقد أراد ﷺ من الكشف عنها، أن يضع أمته أمام صور حية للمجتمع الذي تعيش فيه. لتكون عاملاً للتنبيه والحذر لا للفرار والخور، بل لأخذ الحيطة والحذر من الوقوع فيها.

ومن خلال إمعان النظر في أحاديث المصطفى ﷺ، نستطيع أن نستطلع صفات المؤمنين المجاهدين، الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى لتكون الطائفة المنصورة، لتحقيق موعود الله لهذه الأمة، وإنهاء الكيد العالمي، وإعلاء كلمة الله ونشر راية الإسلام خفاقة في الآفاق، ووجود الطائفة المنصورة حتى يقاتل آخرها الدجال ما هو إلا إرهاصات ومقدمات لقتال اليهود.

والحق أن أي مجتمع في أي حقبة إنما هو انعكاس للشخصيات التي تقوده، فالحكومات العربية والإسلامية ومعها الجماعات الإسلامية المبثوثة في العالم العربي والإسلامي، كلما اقتربت من تعاليم الإسلام كلما كان المجتمع أقرب ما يكون إلى المجتمع الإيماني الذي يُرضي الله سبحانه. والحياة الإسلامية لا تقيمها النصوص فقط، وإنما ترفع أركانها مجموعة قيادية من المؤمنين، من رجال الإدارة والسياسة، والاقتصاد والفقهاء والقضاة والأدباء والمفكرين والصناعيين، يؤمهم رجل جامع لخصال الخير أو بعضها، ولهذا صرح كثير من السلف، أن أولياء الله الذين ينصرون دينه يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ وأجمع قول في ذلك ما قاله الإمام النووي رحمه الله عنه وما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين. منهم شجعان مقاتلون، ومحدثون بارعون، وزهاد آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أنواع أخرى لا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض" شرح صحيح مسلم للنووي . وابن تيمية مجموع الفتاوى ١٩٤/١١.

والأمة الآن في تقديري مقسمة إلى ثلاث فئات : فئة تحارب الإسلام وتحمل التبعية الغربية خلصنا الله من شرورها. وفئة صرفت همها إلى الانغماس في معاشها وتلبية

حاجاتها غفر الله لهما. وفئة ثالثة تنافح عن الإسلام وتطالب بتحكيم القرآن وسنة النبي ﷺ، وإقامة العدل والإحسان وكل من يتفاعل مع الإسلام وأحكامه، ويدخل حلبة الصراع لنصرة الإسلام وأهله يدخل في هذه الفئة" ولا تكون الجماعة جماعة إلا إذا وجد الولاء بين أفرادها والتزمت بالسمع والطاعة لمن ولي عليها.

ويمكننا أن نقول أن هذه الفئة المنافحة عن الإسلام، الداعية إلى تحكيم شرع الله القائمة بأمر الله، هي الطائفة المنصورة بإذن الله.

ويقول إسحق بن راهويه: " أن الجماعة هم المتمسكون بأثر الرسول وطريقه".ولا يخرج المسلمون من حالة الغثاء إلى مجتمع الفتح والفداء إلا عن طريق هذه الجماعة. أما موقع هذه الجماعة فقد حددت الأحاديث الصريحة الصحيحة أن موقع هذه الجماعة في دمشق وأكناف دمشق. وفي بيت المقدس. وأكناف بيت المقدس ويمتد أنصارها عبر الأرض الإسلامية. وحيث وجد المسلمون الذين ينصرون هذه الفئة. ويشاركون في حلبة الصراع بالأموال والأرواح وبكل غالٍ وثمين. فهم في أفغانستان وكشمير والشيشان وفلسطين وفي كل بقعةٍ يراد فيها إعلاء كلمة الله . وإليك الآن طائفة من الأحاديث التي تحدد معالم هذه الطائفة:

– عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. فينزل عيسى عليه السلام فيقول أميرهم تعال صلِّ لنا. فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء. تكرمة الله لهذه الامة". رواه مسلم في الإيمان رقم ١٥٦ وجامع الأصول ٣٢٩/١٠.

– عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "لا يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون". متفق عليه. ورواه كذلك معاوية بن أبي سفيان. ويقول مالك بن يخامر: قال معاذ: وهم بالشام ورواة هذا الحديث أكثر من عشرة من الصحابة.

- وعن أبي إمامة رضي الله عنه. عن رسول الله ﷺ قال: هم ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس" وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله". قال الهيثمي ورجال الحديثين ثقات.

هذه الأحاديث تشير إلى أن طائفة أهل الحق ستكون في أرض بيت المقدس وأكناف بيت المقدس وما حوله، للدفاع عن الأرض المقدسة أمام الهجمة الشرسة من أعداء الله، من اليهود والنصارى ومن أيدهم وكان تبعاً لهم. فهؤلاء كلهم سيناوئون ويعادون هذه الطائفة المجاهدة المنصورة إن شاء الله سبحانه.

فعلى الحكومات العربية والإسلامية ورجال الحركات الإسلامية أن تدرك أن دينها وعقيدتها هما المقصودان بالخطر. وعليها أن تبتعد عن الصراعات الضيقة، وأن تتعاون جميعاً لدرء هذه المخاطر حتى تكون من الطائفة المنصورة. ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم(٣٨٩)﴾ [محمد]. وفي الحديث " أهل الشام سوط الله في أرضه، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم، وأن يموتوا إلا هماً وغماً وغيظاً وحزناً "رواه أحمد في مسنده برقم ٤٩٩/٣ والطبراني في الكبير ٢٤٩/٤ والضياء المقدسي عن خريم بن فاتك . وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني موقوفاً على خريم ورجالهما ثقات فيض القدير ٦٦/٣.

جـ ـ عودة الخلافة الراشدة:

- عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال:

كنا قعوداً في المسجد وكان بشير يكف[1] حديثه فجاء أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنهم فقال: يا بشير بن سعد، أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء؟ وكان حذيفة رضي الله عنه قاعداً مع بشير. فقال حذيفة رضي الله عنه: أنا أحفظ خطبته. فجلس أبو ثعلبة.

(١) يكف : يجمع .

فقال حذيفة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ:"تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، وتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إن شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكاً عاضاً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها . ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إن شاء أن يرفعها.ثم تكون خلافة على منهاج النبوة". رواه أحمد وأبو داود الطيالسي والبزار والطبراني في الأوسط ببعضه. قال الهيثمي رجاله ثقات. ورواه النسائي والحاكم وصححه أحمد شاكر.انظر إتحاف الجماعة ٢٠٩/١.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافه ورحمة، ثم يكون ملكاً ورحمة، ثم يكون إمارة ورحمة. ثم يتكادمون عليه تكادم الحمير. فعليكم بالجهاد. وإن أفضل جهادكم الرباط وأن أفضل رباطكم عسقلان" رواه الطبراني وقال الهيثمي رجاله ثقات.انظر إتحاف الجماعة ٢١١/١.

وعن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما : " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: إن الله بدأ هذا الأمر حين بدأ بنبوةٍ ورحمةٍ . ثم يعود إلى خلافةٍ ورحمةٍ . ثم يعود إلى سلطان ورحمةٍ. ثم يعود ملكاً ورحمةً. ثم يعود جبريةً يتكادمون تكادم الحمير. أيها الناس: عليكم بالغزو والجهاد ما كان حلواً خضراً. قبل أن يكون مُراً عسراً. ويكون ثماماً قبل أن يكون رماماً أو يكون حطاماً؛ رواه نعيم بن حماد في "الفتن" والحاكم في "مستدركه" إتحاف الجماعة ٢١٢/١.

قال ابن الأثير وابن منظور: " الثمام": نبت ضعيف قصير لا يطول. و"الرمام": البالي. والحطام المتكسر المتفتت. والمعنى: اغزوا وأنتم تنصرون وتوفرون غنائمكم قبل أن يهن ويضعف ويكون كالثمام".

- وعن عمر أيضاً رضي الله عنه أنه قال: " أول هذه الأمة نبوةٌ ثم خلافةٌ ورحمةٌ ثم ملك ورحمة. ثم ملك وجبريةٌ، فإذا كان ذلك، فبطن الأرض يومئذٍ خير من ظهرها. رواه نعيم بن حماد في الفتن. انظر إتحاف الجماعة ٢١٢/١.

- عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: لن يجمع الله على هذه الأمة سيفين: سيفاً منها وسيفاً من عدوها" رواه أحمد وأبو داود بأسانيد جيدة. والحديث صحيح والله أعلم. انظر إتحاف الجماعة ٣٨٥/١.

- وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه قالا: "يكون في آخر أمتي، وفي رواية: يكون في آخر الزمان خليفة، يحثو المال حثواً ولا يعده عداً" رواه الإمام أحمد في مسنده ومسلم في جامعه انظر إتحاف الجماعة ٣١٢/٢.

وقد تحققت هذه المراحل في حياة الأمة الإسلامية. مرحلة النبوة ثم الخلافة على منهاج النبوة ثم الملك العاض زمن الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية حتى سقوط الخلافة عام ١٩٢٤م حيث ابتدأت مرحلة الملك الجبري. وهي المرحلة التي نعيشها الآن ونحن ننتظر المرحلة الأخيرة التي تمتد حتى تقضي على الكيان الصهيوني الجاثم على صدر هذه الأمة، ثم يبعث المهدي ويقضي على الكيد العالمي، ثم ينزل السيد المسيح ويقضي على الدجال ويبيد اليهود ثم يخرج الله سبحانه قوم يأجوج ومأجوج، فتكون المعركة بينهم وبينه سبحانه. فيسلط عليهم أحقر خلقه وهو دود النغف فيقتلهم كفرسى نفس واحدة. ثم خروج ريح تقبض أرواح المؤمنين، ولا يبقى إلا شرار الناس عليهم تقوم الساعة. والخلافة الراشدة سيكون من أجل أعمالها القضاء على الكيان اليهودي وستنزل هذه الخلافة الأرض المقدسة بعد إزالة الكيان اليهودي.وإليك بعض الأحاديث التي توضح هذه الفترة:

١- عن ابن زغب الأيادي قال: نزل علي عبدالله بن حوالة الأزدي فقال: بعثنا رسول ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا و لم نغنم شيئاً، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: اللهم لا تكلهم إليَّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم.ثم وضع يده على رأسي ثم قال: يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام،

والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك" رواه أبو داود برقم ٢٥٣٥ وأحمد في المسند برقم ٢٨٨/٥ والحاكم في مستدركه ٤٢٥/٤ وصححه على شرطهما ، ووافقه الذهبي وصححه الألباني برقم ٧٨٣٨ انظر كتاب الأرض المقدسة ١٦٨ هامش ١٨٢/٣٠.

٢- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال". ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه ثم قال: " إن هذا لحق كما أنك أو كما أنك قاعد" رواه أحمد في المسند ٢٤٥/٥ وأبو داود برقم ٤٢٩٤. والطبراني في الكبير /١٠٨/٢٠ برقم ٢١٤، ومسند الشاميين برقم /٣٥١٤/ وهو حديث صحيح. قال ابن كثير عنه: هذا إسناد جيد وحديث حسن. وعليه نور الصدق وجلال النبوة. وصححه الألباني برقم /٤٠٩٦/ انظر المصدر السابق نفسه ١٦٩/٨٣ وهامش ١٨٢/٣١. وكذلك انظر إتحاف الجماعة ١٧٨/٢.

فهذه الأحاديث تدل دلالة صريحة على أن دولة الخلافة الإسلامية ستنزل الأرض المقدسة. وستقضي على الكيان اليهودي وتزيل دولتهم، وأن الدول الكافرة، ستحارب هذه الدولة الإسلامية، ثم لا تلبث أن تتعامل معها على أساس الواقع، وتعقد الروم مع الخلافة الإسلامية صلحاً، ثم يغدرون ويجيشون الجيوش لوأد الخلافة الراشدة. فيأتون تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً وينزلون بين أنطاكية والعريش.

- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: فُتح لرسول ﷺ فتح. فقلت: يا رسول الله، اليوم ألقى الإسلام بجرانه، ووضعت الحرب أوزارها فقال رسول اللهﷺ: "إن دون أن تضع الحرب أوزارها خلالاً ستة: أولهن موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم فئتان من أمتي دعواهما واحدة يقتل بعضهم بعضاً، ويفيض المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيسخط، وموت يكون فيكم كقعاص الغنم، وغلام من بني الأصفر ينبت في الشهر

كنبات سنة، فيرغب فيه قومه فيملكونه، فيجمع جمعاً عظيماً، ثم يسير حتى يكون فيما بين العريش وأنطاكية. وأميركم يومئذ نعم الأمير، فيقول: لأصحابه ما ترون؟ فيقولون نقاتلهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فيقول: بل نحرز ذرارينا وعيالنا ونخلي بينهم وبين الأرض، حتى يأتوا مدينتي هذه. فيستهدون أهل الإسلام فيهدونهم، ثم يقول: " لا ينتدبن معي إلا من يهب نفسه لله حتى نلقاهم فنقاتل حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فينتدب معه سبعون ألفاً. فيقول حسبي سبعون ألفاً. فيسيرون إليهم حتى إذا التقوا سألوا أن يُخلى بينهم وبين من كان بينهم وبينه نسب. فيدعوهم فيقولون: ما ترون فيما يقولون؟ فيقولون ما أنتم بأحق بقتالهم ولا أبعد منهم. فيقول: فاكسروا أغمادكم. فيسل الله سيفه عليهم فيقتل منهم الثلثان ويفر في السفن الثلث، وصاحبهم فيهم. حتى إذا تراءت لهم جبالهم بعث الله عليهم ريحاً فردتهم إلى مراسيهم من الشام. فأخذوا فذبحوا عند أرجل سفنهم عند الساحل. فيومئذ تضع الحرب أوزارها".

رواه ابن أبي حاتم ونعيم بن حماد في "الفتن" قريباً منه. انظر جـ٢/٣٩٢ إتحاف الجماعة.

وعن عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الإسلام ليأرز[١] إلى ما بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها.. فبينما هم على ذلك استغاث العرب بأعرابها.. فاقتتلوا هم والروم[٢] فتنقلب بهم الحرب حتى يردوا عميق[١] أنطاكية، فيقتتلون فيها ثلاث ليال، فيرفع الله النصر عن كلا الفريقين، حتى تخوض الخيل في الدم إلى ثننها[٢] وتقول الملائكة أي رب ألا تنصر عبادك ؟ فيقول حتى تكثر شهداؤهم فيستشهد ثلث، ويرجع ثلث شاكاً فيخسف بهم، وينصر ثلث، فتقول الروم: لن ندعكم

---

(١) ليأرز : ليرجع .

(٢) المراد بها " معركة الغوطة التي عناها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:" فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة قرب دمشق.

(١) عميق أنطاكية : قرية قريبة من حلب اسمها المسلمية.

(٢) الثنن : السنابك ما كان فوق الحافر.

إلا أن تخرجوا إلينا كل من كان أصله منا. فتقول العرب: للعجم الحقوا بالروم. فتقول العجم: الكفر بعد الإيمان!!؟ فيغضبون عند ذلك فيحملون على الروم فيقتتلون فيغضب الله عند ذلك، فيضرب بسيفه ويطعن برمحه حتى يهلك الروم جميعاً فيفتحون حصونهم ومدائنهم بالتكبير.. ثم يستجيزون إلى روما فيفتحونها بالتكبير، ويتكايلون يومئذ غنائمهم كيلاً بالغرائر" رواه نعيم بن حماد. انظر إتحاف الجماعة ١/٣٩٤.

من هذا يتبين أن الخلافة الإسلامية تقضي على الكيان اليهودي ويبقى لهم بقايا في أرض فلسطين يعيشون كرعايا في ظل الخلافة، ثم يكونون شيعة الدجال فيقتلون معه ويزال معه بقايا الإفساد الثاني لليهود من الأرض .

البحث الثاني

المعركة مع اليهود

أ ـ بيان طبيعة اليهود وما انطوت عليه سجيتهم:

إن مشكلة اليهود مشكلة معقدة منذ وجودهم على الخليقة. لقد شغلوا العالم واشتغل بهم العالم. وبلغ أعقد مراحلهم في هذا العصر عندما أقام اليهود كيانهم في فلسطين. ونتج عن هذه المشكلة ليس خطر تهجير أبناء فلسطين وتشتيتهم في قارات العالم الست، بل إن خطرهم يهدد العرب والامة الإسلامية . وقبل أن نبدأ في مرحلة القتال لا بد من بيان طبيعة اليهود، وبيان إفسادهم الذي ذكره القرآن في سورة. الإسراء فقد عرى القرآن الكريم اليهود تعرية لم تعر مثلها أمة. وما ذلك إلا لكثرة فسادهم وشرورهم في الأرض، فهم إخوان القردة والخنازير وبؤر الفساد في الأرض.

لقد طُبعوا على الإنحراف ، فلا تستجيب جبلتهم المنحرفة لدواعي الخير ، ولا تستقيم على الهدى . جحدوا فضل الله عليهم، وفضل كل أحد قدمه إليهم من البشر. وقابلوا كل ذلك بإنكار الجميل والطمع والجشع وقسوة القلب . امتلأت نفوسهم بالإنطواء والحقد الدفين على الأمم كلها . فهم لاستكبارهم يريدون أن تكون الأمم خدماً وعبيداً لهم.

فالفساد طبيعة متأصلة في اليهود، فهم أساتذة في هذا الفن، وموئل القدوة للراغبين فيه. والفساد ملازم لليهود من زمن أبيهم يعقوب عليه السلام حيث حاولوا قتل يوسف عليه السلام مروراً بأذى موسى عليه السلام، حتى تجاوز إفسادهم البشرية إلى الذات العلية فقالوا: ﴿يد الله مغلولة غلت أيديهم(٦٤)﴾ [المائدة]. فهم قتلة الأنبياء عليهم السلام يقول سبحانه: ﴿ويقتلون

الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١١٢)﴾ [آل عمران]. ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين (٦٤)﴾ [المائدة].

ولقد استفاضت التوراة بذكر مخازيهم مع الله ومع أنبيائهم. وقد أطلعتنا سورة الإسراء أو سورة بني إسرائيل على نموذجين من إفساد اليهود الكثير . هذان النموذجان للإفساد يتعلقان بالأمة الإسلامية قال تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً (٤)﴾ [الإسراء]. ولقد اعتمد المفسرون القدامى على أن هذين الإفسادين إنما تما في الماضي قبل الإسلام، ولهذا توجه المفسرون إلى التاريخ اليهودي القديم واستقرؤه وبحثوا فيه عن الإفسادين المذكورين، فقالوا ما قالوا معتمدين على روايات إسرائيلية لم تثبت تاريخياً ولا علمياً، كما لم يعتمد أحد من هؤلاء المفسرين على حديث واحد صحيح ملزم عن رسول الله ﷺ في تحديد الإفسادين. وإليكم الآن نبذة مختصرة لأهم وقائع بني إسرائيل ولعلنا نستشف شيئاً عن زمن هذا الإفساد ومكانه:

١- هاجر إبراهيم عليه السلام إلى بلاد الشام عام ١٩٠٠ قبل الميلاد، وهاجر يعقوب إلى مصر في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وخرج موسى من مصر في القرن ١٣ ق.م، وفي أواخره توفي موسى عليه السلام، وقام بعده غلامه يوشع بن نون عام ١١٩٠ ق.م[1]، وساد بعده عصر القضاة دام ١٥٠ سنه وكان عصر فوضى وانحلال ديني وخلقي. تولى طالوت الملك عام ١٠٢٥ ق.م، وقهر جالوت ملك العمالقة، ودام ملك داود وسليمان عليهما السلام ٨٠ عاماً، وجعل القدس عاصمة لهم عام ٩٩٥ق.م استمر إلى عام ٩٢٣ق.م حيث انقسمت الدولة إلى دولتين متعاديتين بقيادة ابني سليمان عليه السلام: إسرائيل واستمرت مئتي عام إلى عام ٧٢١ق.م، ويهوذا واستمرت ٣٠٠عام إلى عام ٥٨٦ ق.م، وفي عام ٧٢١ق.م قضى سرجون الآشوري على دولة إسرائيل ونقل اليهود إلى شمال العراق وفارس واندمجوا مع الشعوب المجاورة لهم. أما

(١) قاتل العمالقة وحبست له الشمس حتى انتصر عليهم ودخل الأرض المقدسة.

مملكة يهوذا فقد انتشرت فيها العبادة الوثنية وفسدت أخلاقهم بشيوع اللواط بينهم. وهذا غير مستغرب منهم فتلك أخلاقهم مع موسى عليه السلام تشهد بذلك، فما إن خرجوا من البحر حتى قالوا لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهؤلاء آلهة.

– وخضعت يهوذا للملك الآشوريين عام ٦٨٧ ق.م، وجاء بختنصر البابلي وطرد الآشوريين واخضع اليهود إلى حكمه عام ٦٠٥ ق.م، وفي عهده حصل السبي الثاني لليهود عام ٥٩٨ق.م وعام ٥٨٦ ق.م، وحصل فيه تدمير الهيكل والسبي إلى بابل.

ويذكر التلمود أن سقوط دولة اليهود وتدميرها لم يكن إلا عندما بلغت ذنوب بني إسرائيل مبلغها من الانحلال والفساد. وفي عام ٥٣٩ ق.م حل الحكم الفارسي محل الحكم البابلي وسمح قورش لليهود ببناء الهيكل . وفي عام ٣٣٢ ق.م احتل الإسكندر المقدوني بلاد الشام، واستمر حكم الإغريق إلى عام ٦٣ق.م ولقي اليهود من الإغريق اضطهاداً كبيراً. وفي عام ٤٠ ق.م هاجم الفرس فلسطين وانتصروا على الدولة الرومانية، وفي عام ٣٧ق.م انتصر الرومان على الفرس، وجدد هيرودس عام ٤ق.م بناء الهيكل، وفي تلك السنة ولد السيد المسيح، وفي عام ٣٣م حكم بيلاطس الروماني، ونفذ حكم الإعدام بحق المسيح المشبه به.

وفي عام ٧٠م دمر طيطس الروماني الهيكل وأخمد ثورة اليهود بعد أن أعمل القتل والنهب وأصبحت القدس قاعاً صفصفاً. وبنى هذا القائد قوساً في روما بمناسبة انتصاره ولا يزال قائماً إلى الآن. ويرى فيه الشمعدان ذو الرؤوس السبع الذي استقاه من الهيكل. وفي عام ١٣٢م قام اليهود بثورة على الرومان، واستطاع القائد هدريان القضاء على هذه الثورة ونكل بالثائرين أشد تنكيل، ومنع اليهود من الاقتراب من مدينة القدس والسكن فيها، وأقام مدينة جديدة على أنقاض اورشليم وسماها إيلياء.

واستمر حظر دخول اليهود القدس إلى أواخر القرن التاسع عشر. وتشرد بنو إسرائيل في الأرض نتيجة غضب الله عليهم. ﴿وقطعناهم في الأرض أمما (١٦٨)﴾

[الأعراف]. رحل قسم كبير منهم إلى الجزيرة العربية وأقاموا لهم شبه دولة في المدينة ومناطق أخرى في شمال الجزيرة العربية. فكانت الدول العربية أرحم الدول في استضافة اليهود على مر التاريخ.

ويقول الدكتور الخالدي مؤلف كتاب حقائق قرآنية(١) : لذلك لا بد من إعادة النظر في فهم نصوص الآيات التي تتحدث عن إفساد بني إسرائيل، وإعادة فهم أحداث التاريخ على ضوء ما توحي به هذه الآيات والاحداث التاريخية من تفسير جديد معاصر للآيات ومطابق للواقع الذي نعيش فيه طالما أنه ليس ثمة أثرٌ مقبولٌ في تفسير الآيات المذكورة. والأقوال التي ذُكرت في كتب التفسير إما أنها لا تستند إلى دليل، أو أثر صحيح عن النبي ﷺ أو أنها غير منسجمة مع السياق أولاً وآخراً.

أما أنها غير منسجمة أولاً: فلأن ما قبل الآيات كان حديثاً عن الإسراء، وأما آخراً: فلأنه جاء عقب هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾. ولقد نقل العلامة الشيخ حسنين مخلوف في صفوة البيان من تفسير هذه الآية عن الجبائي قوله: "إن هاتين المرتين لم يرد في تعينهما شيء صحيح مما ذكره المفسرون"، وعلى هذا فإن الباب مفتوح للعلماء لبيان هذين الإفسادين"(٢) .

فسياق آيات الإسراء من بداية السورة إلى قوله: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ يدل على أن هذين الإفسادين لهما علاقة بالأمة الإسلامية لا بغيرها. فقد تحدثت الآيات عن تكريم الله لهذه الأمة برحلة الإسراء والمعراج المباركة بشخص نبيها محمد ﷺ، وختمته بقولها: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ ومعلوم أن فساد بني إسرائيل قبل الإسلام كثير. فهم قتلة الأنبياء وأئمة المكر والخداع، والنزوع إلى الوثنية في كل وادٍ وقاع. وهم مع ذلك أقل فساداً من الأمم الوثنية التي كانت تحكمهم. فهم أهل كتاب ولا علاقة للأمة

---

(١) ١٥٣ بتصرف.

(٢) المنهاج/نفحات من الإسراء/ص١١٧.

الإسلامية فيه. إذن فهذان الإفسادان حري أن لا يكونا إلا مع الأمة الإسلامية وهذا ما ترشدنا إليه كلمات الآيات وأسلوبها. ولدى إمعان النظر في كلمات الآية: ﴿لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلون علواً كبيراً﴾ أن اللام في كلمة ﴿لتفسدن﴾ ﴿ولتعلون﴾ قال عنها المفسرون الأوائل أنها لام القسم وعندي أنها شبيه بلام ﴿لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ تفيد المستقبل لا الماضي، وبكلمة ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد﴾ فالعبودية الحقة إنما تكون لله رب العالمين وهذه لا تتحقق إلا في المؤمنين الأوائل أصحاب محمد ﷺ فقد وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿أولي بأس شديد﴾، وبقوله: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (٥٤)﴾ [المائدة]. وبقوله: ﴿محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم (٢٩)﴾ [الفتح].

هذه الصفات الثلاث أولي بأس شديد، وأذلة على المؤمنين أشداء على الكافرين لم تتحقق إلا في محمد ﷺ وأصحابه.

وأما من حيث الأسلوب يقول الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله: " إن سياق الآيات يكشف عن حقيقة هامة أن الحرب والمعركة في الإفسادين بين اليهود من جهة وبين أمة تزيل هذا الإفساد عندما تكون قوية وأن الأجيال القادمة للأمة التي أزالت الإفساد الأول تُصاب بالضعف بسبب ابتعادها قليلاً عن دينها. فيرد الله لليهود الكرة على أجيال هذه الأمة اللاحقة فيقتلونهم ويتمكنون منهم ويصبون عليهم إفسادهم الثاني".

فإذا علمنا أن إفسادهم الأول كان في المدينة، وأن المسلمين الأوائل هم الذين قضوا على ذلك الإفساد. نعلم أن الكرة تعود لليهود في الإفساد الثاني على الأجيال اللاحقة من المسلمين. وهي الأجيال التي تعيش في هذا الزمان ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم .. (٦)﴾ [الإسراء].وهذه الكرة المقصود فيها اليهود لم تكن لهم كرَّة في الماضي

على الأمم التي استباحت اليهود مثل سرجون وسنحاريب الآشوريان، وبختنصر البابلي والإغريق، وطيطس وهدريان الرومانيان.

فإذا علمنا هذا فإن الإفساد الأول كان في المدينة يوم أن استوطنت قبائل اليهود من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظه المدينة. واستوطن غيرهم تيماء وخيبر وفدك. فكانت لهم السيطرة على القبائل العربية التي فُتنت بما عند اليهود من ثقافة وعلم. فاستطاع اليهود السيطرة على القبائل العربية اقتصاديا وفكرياً وسياسياً، بما أشاعوه من فساد أخلاقي واجتماعي وسياسي واقتصادي قبل بعثة النبي ﷺ. فقد أفسدوا أخلاق العرب من حولهم، وعملوا على تفكيك وإضعاف الصلة بين القبائل العربية بما نشروه بينهم من خلاف ونزاع وفرقة. وحرصوا على ربط هذه القبائل بهم في صورة أحلاف. كما تحكموا في المال ونشروا الربا بين القبائل العربية فكانت الأسواق التجارية إنما تقام في مناطقهم. ويقول ابن كثير: أن اليهود كانوا يأخذون من العرب أتاوات.

وأما عن إفسادهم بعد بعثة النبي ﷺ فكان أشد ضراوة من إفسادهم قبل البعثة. فقد كانوا يبشرون ببعثة النبي ﷺ فلما بُعث أنكروا عليه وكانوا أشد أعدائه وفي هذا يقول سبحانه: ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (٨٩) ﴾ [البقرة]. وليس ثمة إفساد أشد من الكفر. وتجسيد الله سبحانه ووصفه بالغل والحقد وحب سفك الدماء. قال ﷺ: "ما خلا يهودي بمسلم قط إلا همَّ بقتله" رواه الحافظ ابن مردويه . انظر ابن كثير التفسير المختصر ١/٥٤٠. ولقد بحث اليهود عن طفولة النبي ﷺ كما أخبرت حليمة السعدية حاضنة الرسول ﷺ. وتحذير الراهب بحيرى أبا طالب عم النبي ﷺ من كيد اليهود لابن أخيه . ومحاولة اغتياله من قبل بني النضير حينما ذهب لزيارتهم وطلب مساعدتهم . وإعانة المشركين بالأسئلة المعضلة حتى يعجز النبي عن الاجابة عليها . ومحاولة كشف عورة المسلمة من قبل يهود بنو قينقاع والانتهاء بإجلائهم عن المدينة . كل هذا موجود في كتب السير والحديث ولذلك جاء إجلاء بنو النضير عقاباً لغدرهم عندما حاولوا اغتيال النبي ﷺ. وأما خيانة بني قريظة فكانت الطامة الكبرى بعدما ألبوا المشركين عليه في غزوة

الأحزاب. فانتهت بقتلهم وتطهير الجزيرة العربية من شرورهم . حيث لم يعتبروا بغدر من سبقهم . ولهذا جاء النص القرآني في سورة الإسراء متطابقاً مع الحدث في قوله تعالى: ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ﴾ ، فبعث الله محمداً وصحبه فأزالوا الإفساد الأول من المدينة وكان وعداً مفعولاً . وعلى هذا كون القضاء على الإفساد الأول لبني إسرائيل يوم أن اتصفوا بنكران الجميل ورفضوا التسامح الذي أكرمهم به النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

أما الإفساد الثاني والأخير، فإنه يتمثل بقيام دولة وكيان لليهود في فلسطين قلب الأمة الإسلامية العربية. ويستفاد هذا من قوله تعالى: ﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم ﴾ فالخطاب موجه لليهود. ورد الكرة هو المتمثل بقيام دولة إسرائيل والتاريخ يخبرنا أنه لم يكن لليهود كيان بعد زوال دولتي إسرائيل ويهوذا على يد الآشوريين بل كانوا تحت حكم الآشوريين ثم البابليين والإغريق والفرس والرومان. والمقصود بكلمة ﴿ عليهم ﴾ الواردة في الآية الأجيال اللاحقة للمسلمين الأوائل الذين أزالوا الإفساد الأول.

ويستفاد كذلك من كلمة ﴿ ثم ﴾ وهي للتراخي وتتسع لأزمنة طويلة. وحيث كانت الأمة الإسلامية قوية، فإن خطر إفساد اليهود الثاني يحتاج إلى فترة استمرت أكثر من ثلاثة عشر قرناً حيث ضعفت الأجيال اللاحقة للأمة الإسلامية وترهلت، واعتراها الوهن والجهل. فكان قيام دولة إسرائيل.

أوردت جريدة الشرق الأوسط في عددها رقم (٧١١٧) تاريخ ١٩٩٨/٥/٢٤م حديثاً لفضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي أن التفسير المعاصر لإفساد بني إسرائيل الوارد في سورة الإسراء ضعيف لعدة أوجه:

١- " أنهما وردا في سفر التثنية " أقول: ولنا في قصر تفسير كتابنا الكريم على ما جاء من أحاديث الرسول وأصحابه الكرام وما يتمشى مع روح وأسلوب القرآن مندوحة عن ذلك.

٢- " أن اليهود الذين سكنوا الجزيرة العربية قلة ولا يمثلون اليهود..!! اليهود ليسوا قلة! ومعلوم أن اليهود قاموا بثورتين ضد الرومان الأولى في عهد نيرون عام ٧٠م استطاع القائد الروماني طيطس إخمادها وأعمل في أهلها القتل والنهب والحرق، ودمر الهيكل الذي بناه هيرودس وأصبحت القدس قاعاً صفصفاً. وبيع كثير من الأسرى عبيداً في أسواق الأمبراطورية الرومانية بأبخس الأثمان. ولا يستبعد أن يكون بعض الأسرى وبعض من شرد سكن الجزيرة العربية واستوطنها. والثورة الثانية حصلت عام ١٣٥م قضى عليها القائد الروماني هدريان، شرد اليهود ودمر أورشليم وحرث موقعها وقتل وسبى أعداداً كبيرة من اليهود، ومنع اليهود من دخول القدس والسكن فيها. وسمح للمسيحيين بالإقامة فيها على أن لا يكونوا من أصل يهودي، وبنى على أنقاضها مدينة سماها إيلياء. واستمر حظر دخول اليهود القدس ألفي عام حتى القرن التاسع عشر الميلادي. وتشرد بنو إسرائيل في الأرض أمما، وكانت الجزيرة العربية البلد الرحب الذي استقبل جموعهم واستوطنوا شمال الجزيرة العربية واليمن. والقلة منهم الذين ذهبوا إلى بلاد الفرس لأن اليهود كانوا شعوباً منعزلة ومنطوية على نفوسها ولا تتقبلها الشعوب المتمدنة . فلا نسلم لفضيلة الشيخ أنهم شرائح صغيرة لا تمثل اليهود!! وهل ثمة أكبر من تقطيعهم في الأرض أمماً أن يسكن قسم منهم في تيماء وقسم في خيبر وقسم في فدك وقسم في المدينة وقسم في اليمن...!!

٣- " أن الرسول محمداً ﷺ وصحبه الكرام لم يجوسوا خلال ديار بني إسرائيل ..!! كيف والقرآن الكريم يقول في سورة الأحزاب: ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها (٢٧)﴾، وفي سورة الحشر: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا

من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله(٢) ﴾.

فالخطاب في الآيتين لأصحاب محمد ﷺ. والديار ديار اليهود ولو أنها في أرض العرب بل إن بعض هذه الديار لم تطأها أرجل المسلمين من قبل. فكانت ديارهم حصوناً وقلاعاً والمعارك التي دارت حول هذه الحصون والقلاع مشهورة في كتب التاريخ.

٤- أن العبودية التي أطلقها سبحانه وتعالى في قوله : عباداً لنا لا تعني أنهم من عباده الصالحين..فقد أطلقها سبحانه على الكفرة بقوله: ﴿أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء (١٧) ﴾ [الفرقان]. أقول إن لفظ العبودية عام والناس كلهم عبيد لله شاؤا أم أبوا. أما أن يصفهم بأولي بأسٍ شديد ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (٥٤) ﴾ [المائدة]. فهذا وصف خاص بالمؤمنين والله أعلم.

٥- من حيث رد الكرة ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ أن الله لا يمتن على بني إسرائيل برد الكرة على المسلمين ..!!.

أقول: إن الله سبحانه سلط الفرس والرومان الوثنيين ومن قبلهم الآشوريين والبابليين على اليهود الموحدين الكتابيين بسبب ذنوبهم ونزوعهم إلى الشر. قال: أرميا لبختنصر البابلي: لا تظن أنك بقوتك وحدها استطعت الانتصار على شعب الله المختار...!! إنها ذنوبهم الفاجرة ساقتهم إلى هذا القدر" وكذلك ذنوبنا وانحرافاتنا ساقت الاستعمار الصليبي والتتري قديماً والصليبي واليهودي حديثاً لاستعمار بلادنا وإذلالنا وتشريد شعوبنا، واستلاب خيرات بلادنا.

٦- " أن المسلمين لم يدخلوا المسجد بالسيف والقهر ولم يكن من شأنهم التتبير والتدمير

في حروبهم وفتوحاتهم". وفي تقديري أن دخول المسجد إنما كان مع الفتح الإسلامي. والتتبير يمكن أن يراد به إزالة الكيان والطغيان والعلو والغطرسة واستعباد غير اليهود.

٧- قوله " أن إجماع المفسرين القدامى أن مرتي الإفساد قد وقعتا زمن الآشوريين والبابليين والرومانيين" أقول: التوراة تحدثنا أن بني إسرائيل تعرضوا للسبي أولاً في عهد الآشوريين بقيادة سرجون عام ٧٢١ق.م. ونقل سكان دولة إسرائيل إلى حران والخابور وفارس وكردستان. ويظهر أن هؤلاء اندمجوا مع سكان تلك البلاد، وتعرضوا ثانياً للسبي بعهد بختنصر البابلي عام ٥٩٧ ق.م وعام ٥٨٦ ق.م ودمر القدس والهيكل. وفي عام ٧٠م تعرض اليهود للقتل والتدمير بقيادة القائد الروماني طيطس، وفي عام ١٣٥م تعرض اليهود للسبي والقتل والتشريد والتدمير بقيادة القائد الروماني هدريان. حرق مدينة أورشليم وأقام على أنقاضها "إيلياء" ومنع اليهود من دخولها واستمر ذلك حتى القرن التاسع عشر الميلادي. ومعلوم أن الأقوام الوثنية التي سلطها الله على اليهود كانوا أشد إفساداً من اليهود الموحدين وقد بسطنا هذا في صدر بحثنا " معركتنا مع اليهود" ، ومعلوم أن إجماع المفسرين لم يستند إلى دليل أو أثر مقبول .

٨- ثم يتابع فضيلة الشيخ القرضاوي يقول: لو مشينا على التفسير الجديد للشيخ الشعراوي والشيخ عبدالستار والشيخ الخالدي وغيرهم لوجدنا أن القرآن لم يشر إلى الأحداث الكبيرة في تاريخ بني إسرائيل ..!!"

أقول: إن القرآن الكريم ليس كتاباً تاريخياً. يكفي أن التوراة والتلمود وكتب التاريخ مستفيضة بذكر تاريخ بني إسرائيل. وحسب القرآن ما فيه من إشارات وهذه تفسر حسب ما يقتضيه الواقع وأسلوب القرآن الكريم.

أما قوله: إن اليهود يقعون اليوم تحت قوله تعالى: ﴿إن عدتم عدنا﴾ فنعم فهم

عادوا إلى الإفساد والعلو والكبر والطغيان وانتهاك الحرمات وتشريد شعوب فلسطين والجولان وستعود الكرة لنا إن شاء الله ونتبر وندمر ما علوا من تجبر وطغيان وأسلحة دمار شامل تتبيراً.

والإفساد اليهودي الناتج عن حكمهم شامل لكل جوانب الحياة فمن إفساد للعقيدة والدين، إلى إفساد للأخلاق والمال والحكم والفكر والسلوك والسياسة والاجتماع والفن والتعليم وإباحة للمحرمات واحتقار وازدراء لكل ما هو غير يهودي.!!

والحكم اليهودي كما يصفه القرآن الكريم حكم عنصري، يقوم على العلو والتكبر والانتفاش والتيه والتبختر والغطرسة والجبروت واستعباد الآخرين والقضاء على وجودهم. وأموالهم وأخلاقهم وإيمانهم وأعراضهم وسمعتهم . بينما ينظرون إلى أنفسهم نظرة استعلاء أنهم أبناء الله وأحباؤه. وهذه النظرة العنصرية جعلتهم معقدين ناقصين مشوهين مطعونين في نفسياتهم وشخصياتهم. وهذه السجية للشعب اليهودي والحكم اليهودي تدلنا أنه حكم وتحكم قصير الزمن محدود. لأنه لن يطول حكم يقوم على العنصرية البغيضة والظلم فإن الله يسمح للحكم أن يقوم على الكفر ولكن لا يسمح للحكم العنصري والحكم القائم على الظلم أن يدوم وهذه سنة الله في الأرض. فقد أزال الله حكومة جنوب إفريقيا العنصرية على يد الزعيم الأفريقي " ولسن منديلا" وأزال الاتحاد السوفيتي لأنه قام على الإلحاد والظلم " فهناك طبقة الحكام المترفة وطبقة الشعب البلوروتاريا" المنتوف ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين (١٣) ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون (١٤) ﴾ [يونس] وقال ﷺ: (كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود، الناس سواسية كأسنان المشط).

وقال تعالى: ﴿ ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا

الله . إن الله خبير بما تعلمون (٨٠) ﴾ [المائدة].

وقال تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي . يعظكم لعلكم تذكرون (٩٠) ﴾ [النحل].

وتزداد شراسة إفساد دولة اليهود بعد أن رضخت بعض الحكومات والأنظمة في العالم العربي لتوقيع اتفاقيات ما يسمى بالسلام المزعوم مع دولة اليهود. ليصبح العالم الإسلامي مسرحاً لافسادهم من خلال ما يسمى بتطبيع العلاقات مع العدو الصهيوني، وكأنهم قد غفلوا أو تغافلوا عن قوله تعالى: ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا (٨٢) ﴾ [المائدة]. ولم يبق من يرفض هذا الإفساد والتطبيع في العالم الإسلامي سوى بعض الحكومات العربية والإسلامية وشعوب العالم العربي والإسلامي والحركات الإسلامية وعلى رأسها حماس نصرها الله نصراً مؤزراً إن شاء الله.

وموقف الحكومات والشعوب والحركات الإسلامية في مقاومة العلمانية والهجمة الصهيونية ليس جديداً بل هو قديم قدم هذه القضية. فمنذ أواخر القرن الماضي التاسع عشر حين رفض السلطان عبدالحميد الثاني عليه رحمة الله إعطاء موقع قدم لليهود في فلسطين فكلفه ذلك عزله ثم إلغاء الخلافة. ثم قام من بعده الشيخ عز الدين القسام وصحبه الأبطال عليهم رحمات الله بمقارعة اليهود المختبئين تحت حراب ومدافع الإنكليز عليهم لعائن الله. ثم قيام الحركة الإسلامية بقيادة الشهيد حسن البنا رحمة الله ولكن المؤامرات والخيانات كانت أكبر منهم فقامت الدولة العبرية عام ١٩٤٨م تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ إلا بحبل من الله وحبل من الناس ﴾ وحاشا لله أن يمد اليهود بعونه وسلطانه. ولكن تخلي الله سبحانه عن نصرة المسلمين الآن ولأجل محدود هو الحبل من الله. أما حبل الناس فإن الدول الكافرة شرقيها وغربيها تمد اليهود بأسباب القوة والمنعه والكيد والاحتيال. وما المؤتمرات التي يعقدونها في بلاد المسلمين إلا خدمة لليهود وتحقيقاً لأهدافهم التوسعية.

ومنها مؤتمر الإسكان الذي عقد بمصر فكان يدعو إلى التحلل الخلقي وإباحة الإجهاض، وهذه أولى أهداف ومخططات اليهود للسيطرة على العالم العربي والإسلامي.

ب – معركتنا مع اليهود ذات مرحلتين:

توطئة للبحث :

كان اليهود قبل بعثة محمد ﷺ يتنبئون ببعثه نبي منهم، ويتوعدون المشركين من العرب بقتلهم قتل عاد وإرم ، فلما ظهر محمد ﷺ من العرب . ضاقت صدورهم وتحرك الحقد في قلوبهم وفاضت نفوسهم بالعداوة الشديدة للنبي ﷺ خاصة وللأمة الإسلامية عامةً . قال تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا . فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (٨٩)﴾ [البقره].

وقد ظل اليهود يحملون هذه العداوة الدينية ويتوارثونها جيلاً بعد جيل حتى آل بهم الأمر إلى انتزاع فلسطين من أيدي العرب وتشريد أهلها في بقاع الأرض ٠

فاليهودية العالمية المعاصرة حركة معادية للإسلام تربت في أحضان الإستعمار الغربي ورضعت الحقد اليهودي على الأمم أجمع . فهي حركة عدوانية استعمارية توسعية عنصرية لا أخلاقية . تتبع الكذب والخداع والانتهازية للوصول إلى أهدافها ٠

وقد عرّى القرآن الكريم اليهود وهتك أستارهم، وكشف للمسلمين النفسية اليهودية المعقدة التي تنطوي على الحقد والحسد والنفاق والاستكبار، والتلون والإنحراف والتحريف والتزييف . كما كشف لنا تاريخهم الأسود، المليء بالدسائس والمؤامرات، وقتل الأنبياء ورميهم بالفواحش والمنكرات. قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس . وباؤوا بغضب من الله . وضربت عليهم

المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١١٢) ﴾ .

عدا تطاولهم على رب الأرض والسماوات، وانحرافهم عن الهدى إلى الوثنية وعبادة العجل مما هو معروف بالقرآن الكريم. ليكون المسلمون على حذر دائم منهم . ومن ألاعيبهم السياسية اللاأخلاقية على جميع الأمم والشعوب . ويريدون من جميع الأمم والشعوب أن يكونوا خدماً وعبيداً لهم .

المرحلة الأولى: هي التي تحدثت عنها آيات سورة الإسراء وبينا إفسادهم الاول وتدميرهم على يد النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى يد أصحابه رضوان الله عليهم. ثم إفسادهم الثاني بتكوين دولتهم التي ستنتهي بانتصار المسلمين المجاهدين عليهم. ويتحقق بهذا الانتصار تدمير كيانهم وإزالة افسادهم واسترداد فلسطين منهم ونزول الخلافة الإسلامية فيها. "في بيت المقدس" .

المرحلة الثانية: يتم فيها إبادة اليهود تماماً وإراحة البشرية من شرورهم ووجودهم. ولعل هذه مرافقة لخروج الدجال عليه وعليهم لعائن الله سبحانه.

المرحلة الأولى: تدمير الدولة العبرية وإسقاط كيانها:

يقول الدكتور الخالدي في كتابه حقائق قرآنية " إن إساءة الوجه لليهود تعني هزيمتهم في المعركة وإزالة إفسادهم والقضاء على علوهم وغطرستهم وإزالة سلطانهم فهو تتبير وتدمير لقوتهم والقضاء على أسلحتهم وإنهاء كيانهم . فقد جاءت الأحاديث مبينة وموضحة لقتال يحدث بين المسلمين وبين يهود. ولليهود سطوة ودولة، فإفسادهم الثاني إنما يكون في علوهم واستكبارهم واستعبادهم للأمم الأخرى. فهم أصحاب دولة وقوة وقد عبرت عن ذلك الآية الكريمة بلفظ الكرة ﴿ ثم رددنا لكم الكرة ﴾ وتتمة الآية ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم

وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾. فالكرة المذكورة تعني الدولة والسيطرة على الأجيال اللاحقة للمسلمين الأول بسبب ابتعادهم عن دينهم وركوبهم المعاصي التي هي أشد على الأمة من سيوف أعدائها. وقد أشار إلى ذلك بالضمير بكلمة "عليهم" استهانة بنا لأننا غثاء كما عبر عن ذلك رسولنا ﷺ في حديث ثوبان: "بل أنتم غثاء كغثاء السيل" ويقول الكاتب الإسلامي إبراهيم العلي في كتابه "الأرض المقدسة" : ومما يؤيد ما ذهبت إليه أن هذه الأحاديث يراد بها قتال اليهود في إفسادهم الثاني المتمثل بقيام الدولة على أرض فلسطين وليس ما ذهب إليه شراح الحديث أن القتال المذكور في الأحاديث إنما هو قتال اليهود مع الدجال وهم أتباع. والذي يزيل إفسادهم الثاني الخلافة الإسلامية التي تنزل بيت المقدس وهذا لا يتم إلا بعد إزالة الكيان.

يقول عالم العراق عبدالحميد الزهاوي: إن قيام دولة إسرائيل دلالة على تحقيق نبوءة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: تقاتلكم يهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر: "يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله " متفق عليه وفي لفظٍ لروايةٍ أخرى" لتقاتلن اليهود" وفي لفظٍ: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقدة فإنها من شجر اليهود " متفق عليه. واليهود قبل قيام دولة إسرائيل مواطنون ما كان للمسلمين أن يقاتلوهم. أما الآن وقد أصبح لهم دولة وشوكة وإفساد وتشريد شعب وتدنيس مقدسات لزم قتالهم.

- عن ابن زغب الأيادي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحديث وفيه ..يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والفتن والأمور العظام" رواه أبو داود برقم (٢٥٣٥). وبعض الأحاديث التي سنوردها تشير إلى هدنة بين المسلمين والروم. هذه الهدنة التي أشارت إليها الأحاديث إنما تتم والدولة الإسلامية قوية وقد أزالت الكيان اليهودي من على أرض فلسطين ونزلت بيت المقدس.

المرحلة الثانية : مرحلة الإبادة والافناء:

هذه المرحلة متأخرة لعلها لا تأتي إلا في اللحظات الأخيرة من عمر الدنيا حيث سيظهر الدجال من جهة المشرق. ومعه من يهود أصفهان سبعون ألف يهودي. ويحاربه عيسى والمؤمنون ويقتله بيده الشريفة. واليهود الذين معه أشياع وأتباع وجنود ليس لهم دولة وكيان وهذا موضوع المبحث الثالث.

البحث الثالث

ارتفاع الفتن عند وقوع الملاحم

أ- توطئة للبحث:

معلوم أن الفتن كل ما يفتن المؤمن ويبعده عن دينه، سواءً كانت قتالاً أو استعماراً أو هيمنة اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو تربوية. أو غير ذلك من أنواع الظلم والتحكم والجبروت. وقد أخبرنا عن ذلك نبينا محمد ﷺ بعدة أحاديث منها :

- عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:"لن يجمع الله على هذه الأمة سيفين سيفاً منها وسيفاً من عدوها " رواه أحمد وأبو دواد برقم (٤٣٠١) بأسانيد جيدة فيه إسماعيل بن عياش وثقه أحمد وابن معين والبخاري وابن عدي في أهل الشام وضعفوه في أهل الحجاز والحديث من رواية الشاميين فالحديث لذلك صحيح.إتحاف الجماعة ٣٨٥/١ . والحديث واضح أنه عند وقوع الملاحم انتهاء الحكم الجبري السيف المسلول على الأمة. فسيف الأعداء أخف بكثير من سيف الحكام المسلول على رؤوس المسلمين يقول الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

- وعن ابن محيريز قال: قال رسول اللهﷺ: " فارس لطمة أو لطمتان ثم لا فارس بعدها أبداً، أما الروم ذات القرون كلما هلك قرن خلفه قرن أهل صخر وبحر هيهات لآخر الدهر هم أصحابكم ما دام في العيش خير" رواه الحارث بن أبي أسامة مرسلاً والواقع يشهد له بالصحة إتحاف الجماعة رقم ٣٦١/١.

- عن موسى بن علي عن أبيه قال: قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص

رضي الله عنهما، سمعت رسول اللهﷺ يقول:" تقوم الساعة والروم أكثر الناس". فقال له عمرو: ابصر ما تقول. قال: أقول ما سمعت من رسول اللهﷺ قال عمرو: لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالاً أربع: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وأمنعهم من ظلم الملوك، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف". رواه مسلم ويقول محمد علي المطوع في كتابه "مختصر الرسالة": الروم هم النصارى وهم ولاة الأمر اليوم في أكثر الأرض. ويقول إن صدر الحديث هو المرفوع أما عجزه فموقوف على عمرو وهو قول الألباني حفظه الله.

يقول إبراهيم العلي مؤلف كتاب "الأرض المقدسة" ص (١٨٩): حين تنشأ الدولة الإسلامية بخلافتها الراشدة على منهاج النبوة على أرض الشام، ويستقر خلفاؤها ببيت المقدس، وتقضي على الكيان اليهودي وتزيل معالم دولتهم. تُواجه هذه الخلافة بالعداء المرير. وسيبذل أعداؤها الجهود المضنية للقضاء عليها فتفشل جهودهم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون(٣٦) ﴾ [الأنفال]. وإليكم بعض الأحاديث التي توضح هذه المرحلة:

-عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :" يكون بينكم وبين بني الأصفر هدنة فيغدرون ويسيرون إليكم تحت ثمانين، غاية تحت كل غاية إثنا عشر ألفا" رواه البخاري وأحمد وابن ماجة. انظر "مختصر الرسالة" ٩٦، والغاية: الراية.

- وعن ذي مخمر ابن أخي النجاشي رضي الله عنه قال: ستصالحكم الروم صلحاً آمناً. فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائهم، فتسلمون وتغنمون، ثم تنزلون بمرج ذي تلول فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول غلب الصليب، فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقول بل الله غلب. ثم يأتي إلى صليبهم وهو منه غير بعيد فيدقه، وتثور الروم إلى كاسر الصليب فيقتلونه. ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون. فيكرم ا لله تلك العصابة من المسلمين بالشهادة، فتقول الروم لصاحبهم كفيناك حد العرب. فيجتمعون للملحمة

يأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً" رواه أبو داود وابن ماجة وابن حبان وأحمد والحاكم ووافقه الذهبي على تصحيحه انظر إتحاف الجماعة ١/٣٩٠.

- وعن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال:" يكون اختلاف عند موت خليفة. فيخرج رجل من قريش من أهل المدينه هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام . ويُبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة.." أخرجه أحمد والبزار وابن حبان وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح.انظر إتحاف الجماعة ٢/٢٨٢.

- وعن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: مثل الرواية التي سبقت وفيه: فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق، فيبايعونه بين الركن والمقام.ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب. والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب. فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ ويُلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون" رواه أبو داود برقم (٤٢٨٦)، وابن حبان رجاله رجال الصحيح. وقال ابن القيم في "المنار المنيف": الحديث حسن.

في هذه الأحاديث وما سيأتي من أحاديث يتبين أن الخلافة الإسلامية ستكون المرحلة الأخيرة من تاريخ هذه الأمة، ويستمر ركبها غير عابىء بكل محاولات الاعداء. وحين يرون ذلك يضطرون للتعامل معها كحقيقة واقعة فيعقدون معها صلحاً، ويقاتلون وإياهم عدواً من ورائهم. فتنتصرون وتغنمون وتعودون وينزل معسكرهم المشترك في مرج ذي تلول وهي أرض البقاع من لبنان. ثم يبدأ بعد ذلك الغدر وقوع الملاحم، ويتزامن معها موت الخليفة وخروج المهدي. وينزل الأرض المقدسة " بيت المقدس " ويقضي على كل جبار في الأرض.

ب ـ وقوع الملاحم:

حين تنشأ الدولة الإسلامية بخلافتها الراشدة وتقضي على الكيان اليهودي ويستقر خلفاؤها في الأرض المقدسة، تواجه بالعداء المرير، وسيبذل أعداؤها في الغرب الجهود المضنية للقضاء عليها فتفشل جهودهم وتضيع هباء. فيضطرون للتعامل معها كحقيقة قائمة. فيتقربون منها ويعقدون معها صلحاً ويقاتلون عدواً مشتركاً فينتصرون ثم يغدرون . وهذا ما ستبينه الأحاديث التالية:

– عن ذي مخمر ابن أخي النجاشي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: تصالحون الروم صلحاً آمناً حتى تغزوا أنتم وهم عدواً من ورائهم. فتنتصرون وتغنمون وتنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيقول قائل من الروم غلب الصليب. ويقول قائل من المسلمين بل الله غلب. فيثور المسلم إلى صليبهم وهو منه غير بعيد فيدقه. وتثور الروم إلى كاسر صليبهم فيقتلونه. ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة من المسلمين بالشهادة. فتقول الروم لصاحبهم كفيناك حد العرب. فيجتمعون للملحمة فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا. رواه أبو داود وابن ماجة وابن حبان وأحمد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. انظر إتحاف الجماعة ١/٣٩٠.

في هذا الحديث يظهر لنا الهدنة بين المسلمين وأعداء الإسلام من الدول الغربية، وكيف ينقلب الحقد الدفين في قلوبهم على الوفاء بشروط الهدنة، وينفسون عن تلك الأحقاد بقتل الجماعة التي ناصرتهم في غزو عدوٍ مشترك لهم، وينقضون الهدنة أو الصلح المعقود بينهم. ولا يكفيهم ذلك بل يجيشون الجيوش للقضاء على الدولة الإسلامية القائمة على الأرض الإسلامية في بلاد الشام وغيرها من بلاد المسلمين. فحديث ذي مخمر يحدد هذه الجموع " فيأتوكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا" وكذلك حديث عوف بن مالك الأشجعي، وحديث معاذ بن جبل "يأتونكم في ثمانين بندا تحت كل بند اثنا عشر ألفا".

ولنسمع إلى حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه: أنه أتى رسولَ الله ﷺ في فتح له فسلم عليه ثم قال: هنيئاً لك يا رسول الله، قد أعز الله نصرك وأظهر دينك ووضعت الحرب أوزارها بجرانها. فقال رسول الله ﷺ: " إن الحرب لن تضع أوزارها حتى تكون ست: أولهن موتي، والثانية فتح بيت المقدس، والثالثة موت يكون في الناس كقعاس الغنم، والرابعة فتنة تكون في الناس لا يبقى أهل بيت إلا دخل عليهم نصيب، منها والخامسة يولد في بني الأصفر غلام من أولاد الملوك يشب في الشهر كما يشب الصبي في السنة فإذا بلغ اثنتي عشر شهراً ملكوه عليهم. فقام بين أظهرهم فقال إلى متى يغلبنا هؤلاء القوم على مكارم أرضنا؟ إني رأيت أن أسير إليهم حتى أخرجهم منها. فقام الخطباء فحسنوا له رأيه. فبعث في الجزائر والبر بصنعة السفن ثم حمل فيها المقاتلة حتى ينزل بين أنطاكية والعريش، فيجتمع المسلمون إلى صاحبهم ببيت المقدس. فأجمعوا رأيهم أن يسيروا إلى مدينة الرسول حتى يكون مسالحهم بالسرح وخيبر. يخرجون أمتي من منابت الشيح، فيفر منهم الثلث ويقتل منهم الثلث فيهزمهم الله بالثلث الباقي الصابرة يومئذ يضرب الله بسيفه ويطعن برمحه وهو سيف المؤمن ورمحه. ويتبعهم المسلمون حتى يبلغوا المضيق الذي عند القسطنطينية فيجدونه قد يبس ماؤه. فيجيزون إلى المدينة حتى ينزلوا بها، فيهدم الله جدرانها بالتكبير. ثم يدخلونها فيقسمون الغنائم بالأترسة فبينما هم على ذلك إذ جاءهم راكب فقال: أنتم ها هنا والدجال خالفكم في أهليكم. وإنما كانت كذبة فمن سمع العلماء في ذلك أقام على ما أصابه. وأما غيرهم فافتضوا ويكون المسلمون يبنون المساجد في القسطنطينية ويغزون وراء ذلك حتى يخرج الدجال في السادسة" رواه الحاكم في مستدركه وصححه وتعقبه الذهبي أن فيه انقطاع ويشهد له بالصحة الأحاديث التالية: ٣٩١/١ إتحاف الجماعة.

- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: وفيه يولد غلام من بني الأصفر ينبت في الشهر كنبات سنة. فيرغب به قومه فيملكونه. فيجمع جمعاً عظيماً، ثم يسير حتى ينزل فيما بين العريش وأنطاكية. وأميركم يومئذ نعم الأمير. فيقول لأصحابه ما ترون؟ فيقولون

نقاتلهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فيقول: لا أرى ذلك نحرز ذرارينا وعيالنا ونخلي بينهم وبين الأرض ثم نغزوهم . فيسيرون حتى يأتوا مدينتي هذه فيستهدون أهل الإسلام فيهدونهم.. فينتدب معه سبعين ألفاً أو يزيدون. فيقول حسبي سبعون ألفاً. فيسيرون إليهم. حتى إذا التقوا سألوا أن يخلى بينهم وبين من كان بينهم وبينه نسب. فيقولون ماذا ترون فيما قالوا؟ فيقولون ما أنتم بأحق من قتالهم منا. فيقول فأكسروا أغمادكم. فيسل الله سيفه عليهم فيقتل منهم الثلثان ويفر في السفن الثلث وصاحبهم فيهم. حتى إذا تراءت لهم جبالهم، بعث الله عليهم ريحاً فردتهم إلى مراسيهم من الشام، فيذبحوا عن أرجل سفنهم عند الساحل. فيومئذ تضع الحرب أوزارها" رواه ابن حاتم ونعيم بن حماد في الفتن وألفاظ الحديث مثل سابقه انظر ٣٩٢/١ إتحاف الجماعة.

- وعن عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: والذي نفسي بيده ليأرزن الإسلام إلى ما بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها. فبينما هم على ذلك استغاث العرب بأعرابها، فاقتتلوا هم والروم فتنقلب بهم الحرب حتى يردوا عميق أنطاكية. فيقتتلون بها ثلاث ليال، فيرفع الله النصر عن كلا الفريقين حتى تخوض الخيل إلى ثننها في الدم. وتقول الملائكة أي رب ألا تنصر عبادك فيقول سبحانه حتى تكثر شهداؤهم. فيرجع ثلث شاكاً فيخسف بهم. ويستشهد ثلث وينتصر الثلث. ويهلك الروم فيفتحون الحصون والمدائن بالتكبير. ثم يستجيزون إلى روما فيفتحونها ويتكايلون غنائمهم بالغرائر. رواه نعيم بن حماد انظر ٣٩٤/١ إتحاف الجماعة.

- عن عبدالرحمن بن أبي بكرة نفيع بن الحارث قال: أتيت عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في بيته. ثم أنشأ يحدثنا فقال: يوشك أن يخرج ابن حمل الضأن (ثلاث مرات). فقلت: وما حمل الضأن؟ قال: رجل أحد أبويه شيطان يملك الروم. يجيء في ألف ألف من الناس خمسمائة ألف في البر ومثلها في البحر ينزلون أرضاً يقال لها العميق. فيقول لأصحابه إن لي في سفينتكم بغية فيحرقها بالنار. ثم يقول: لا رومية لكم ولا قسطنطينية من شاء أن يفر. ويستمد المسلمون بعضهم بعضاً حتى يمدهم أهل عدن أبين. فيقتتلون شهراً حتى

تخوض الخيل في سنابكها الدماء. وللمؤمن يومئذ كفلان من الأجر، فإذا كان آخر يوم من الشهر قال الله تبارك وتعالى: اليوم أسل سيفي وأنصر ديني وأنتقم من عدوي. فيجعل الله الدائرة عليهم. فينهزمون حتى تستفتح القسطنطينية .. وبينما يقتسمون الغنائم بالأترسة إذ نودي فيهم! ألا إن الدجال قد خلفكم في دياركم، فيدعون ما بأيديهم ويقتلون الدجال. رواه البزار موقوفاً وله حكم الرفع لأنه لا دخل للرأي في مثل هذا . قال الهيثمي: وفيه علي بن يزيد وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات ٣٩٥/١٠ إتحاف الجماعة. وفي حديث ابن سيرين.. قال عبدالله بن عمرو إنه لفي الكتاب مكتوب: فيقتتلون عشراً لا يحجز بينكم إلا الليل ليس لكم طعام إلا ما في أداويكم لا تكل سيوفكم . ثم يأمر ملكهم بالسفن فتحرق.. ثم يجعل الله الدبرة – عليهم فيقتلون مقتلة لم ير مثلها حتى أن الطائر ليقع ميتاً من نتن ريحهم. وبقيتكم يقاتل الدجال . رواه عبدالرزاق في "مصنفه" ورواته ثقات١٠/٣٩٦.إتحاف الجماعة.

–وفي رواية أبي هريرة عند مسلم:" لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فيقتتلون فينهزم الثلث لا يتوب الله عليهم أبداً. ويقتل ثلثهم وهم أفضل الشهداء عند الله. ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً. فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان .. خلفتم الدجال وراءكم فيعودون. وبينما هم يعدون للقتال إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب.. ولكن يقتله الله بيده١/٣٩٦. المصدر السابق.

وكذلك ما رواه يسير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيري إلا يا عبد الله ابن مسعود جاءت الساعة.!! فقال ابن مسعود إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث. ولا تفرح بغنيمة. ثم قال هكذا بيده ونحاها نحو الشام ثم قال: عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام. ويكون عند ذلك القتال ردة شديدة.. فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتتلون مقتلة

لم يُر مثلها حتى أن الطائر ليمر في جنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً... فيتعاد بنو الرجل الواحد "الأب" كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح، أو أي ميراث يقسم فينطلقون حتى يدخلوا القسطنطينية .. فبينما هم كذلك إذ جاءهم الصريخ أن الدجال قد خلفهم في ذراريهم .. فيبعثون عشرة فوارس طليعة. قال رسول الله:" إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خيرة فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ. فيقاتلهم الدجال فيستشهدون". رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود الطيالسي وعبدالرزاق في مصنفه إتحاف الجماعة ١/٣٩٨.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: وأن المسلمين إذا نزلوا على المدينة التي جانب منها في البر وجانب منها في البحر لم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبها، ثم يقول الثانية فيسقط جانبها الآخر، ثم يقول الثالثة فيفرج لهم فيدخلوها. رواه مسلم.

– وعن عمرو بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تقوم الساعة حتى تكون رابطة للمسلمين ببولان. يا علي أعلم أنكم ستقاتلون بني الأصفر، ويقاتلهم من بعدكم من المؤمنين فيخرج إليهم روقة المسلمين أهل الحجاز، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم. حتى يفتح عليهم قسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير .. ثم يصرخ صارخ يا أهل الإسلام قد خرج الدجال في بلادكم. فينقبض الناس عن المال فمنهم الآخذ ومنهم التارك. فالآخذ نادم والتارك نادم.. فيخرجون إلى الله.. رواه ابن ماجة مختصراً والطبراني وهذا لفظه، والحاكم في مستدركه بنحوه، قال الهيثمي: وفيه كثير ابن عبدالله ضعفه الجمهور وحسن الترمذي حديثه. ورواه الديلمي مختصراً. إتحاف الجماعة ١/٣٩٩، قال ابن الأثير وابن منظور: روقة المؤمنين أي خيارهم.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذٍ" أخرجه أحمد في فضائل الشام /١٥، والجامع الصغير للألباني /٤٢٠٥، انظر مختصر الرسالة ص ٩٦.

يتبين لنا من هذه الأحاديث:

١- أن هذه الأحاديث يكمل بعضها بعضاً. وكأنها قيلت في أماكن مختلفة وأصحاب مختلفين. بعضهم سمع في مكان والآخر سمع في مكان آخر يكمل بعضها بعضاً.

٢- بعض هذه الأحاديث رواها أئمة كبار مثل البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأحمد. والبقية معظم رجال الإسناد ثقات كما بينت عند كل حديث.

٣- رواة هذه الأحاديث من الصحابة رضوان الله عليهم يفوق عددهم العشرة من الصحابة.

٤- الأحاديث كلها متفقة أن ثمة هدنة بين المسلمين والروم. ويقاتلون عدواً من ورائهم وينتصرون. ولشدة حقدهم على المسلمين يغدرون. وأن هذا الصلح إنما يكون مع خليفة للمسلمين وليس مع المهدي.

٥- الروايات متفقة أنه يولد للروم غلام يشب في الشهر كما يشب غيره في سنة. فيملكوه عليهم ثم يجيش الجيوش ضد المسلمين.

٦- بعض الأحاديث تذكر ملحمة الغوطة وتذهل عن ملحمة دابق. وبعضها يذكر فتح القسطنطينية ويغفل عن ذكر فتح روما. وبعضها يذكر الجميع.

٧- في حديث ذي مخمر ص ٤٩: "فيجتمعون للملحمة المقصود بها ملحمة الغوطة. ويظهر أن الرواة يسقط منهم بعض فقرات من الحديث فيأتي حديث آخر يكمله ويوضحه فمثلاً حديث أبي الدرداء رضي الله عنه صفحة (٥٣) يبين أن هذه الملحمة ملحمة الغوطة. وبقيادة خليفة المسلمين الذي ينحاز إلى المدينة، ويأتي بسبعين ألفاً من العرب، وينتصر على الروم. وكذلك حديث مالك بن عوف الأشجعي رضي الله عنه صفحة (٤٧) يذكر القتال ونصرة المسلمين ودفعهم الروم حتى يبلغوا المضيق الذي عند القسطنطينية ، ولا يذكر فتح روما ونحو ذلك حديث حذيفة صفحة (٥٠).

أما حديث عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه ص٦٣: فإنه يشير إلى معركة الغوطة

إشارة إذ يقول: " فاقتتلوا هم والروم، فتنقلب بهم الحرب حتى يردوا عميق إنطاكية.

فالاقتتال الأول هو معركة الغوطة. فتكـون والله أعلم بقيادة الخليفة. أما المعركة الثانية ، معركة عميق أنطاكية. فتكون بقيادة المهدي. وذلك بعد موت الخليفة. كما يشير إلى ذلك حديث أم سلمة صفحة ٥٩، وحديث أبي هريرة صفحه ٦٤ حتى ينـزل الروم بالأعماق أو بدابق. فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ" وكذلك حديث عمرو بن عوف صفحة ٦٦ وفيه:" فيخـرج إليهم روقة المسلمين" أهل الحجاز الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم حتى يفتح عليهم قسطنطينية ورومية" والروقه هم الخلاصة.

٨- أخبر رسول الله ﷺ أن أبرز صفات التجمع الإسلامي الذي يقف متحدياً لقوى الطغيان العالمي الغربي الحاقد. أنه يتميز بصفة الإيمان الذي لا لبس فيه. حيث يقول ﷺ:" إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام وفي رواية فالأمن بالشام".

٩- يلاحظ أن هذه المعارك ستكون سبباً لتغير مصير التاريخ البشري وتحويل مجراه لصالح الإسلام وأهله. يشترك في نصرته كل أهل الإسلام لا يتأخر منهم إلا من شاب قلبه نفاق وبغض للإسلام. فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثاً من الموالي أكرم العرب فرساً وأجودهم سلاحاً يؤيد الله بهم الدين. وفي رواية لأبي هريرة " إذا نزل الروم بالأعماق خرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ". وجيش المدينة الأول: جيش الخليفة الذي انحاز إليها. والثاني: جيش المهدي. والذي يظهر لي أن معركة الغوطة يكون قائدها الخليفة وعندما ينزل الروم في الأعماق يكون المهدي قد ظهر ويقود باقي المعارك ويفتح المدن ويقضي على كل جبار في الأرض .

١٠- ومما لفت نظري في أحاديث الملاحم التي سبق أن أوردناها أنه ليس للمهدي دور في إزالة الكيان اليهودي. كما أن دور المهدي في قتال الروم غير واضح، بل إن دور

خليفة المسلمين فيه أوضح حيث أن الأحاديث التي مرت معنا تفيد أن خليفة المسلمين بعد غزو الروم ومجيئهم تحت ثمانين بنداً ينحاز إلى المدينة. ويجمع جيشاً قوامه سبعون ألفاً. يفر ثلثهم لا يتوب الله عليهم أبداً يخسف بهم ويستشهد الثلث الثاني وهم خيرة الشهداء عند الله، وينتصر الثلث الآخر. ثم يموت الخليفة ويظهر المهدي ويبايع بين الركن والمقام وينتصر على جيش كلب وينازل الروم الذين تجمعوا في الأعماق فينتصر عليهم. ثم يندفعون لفتح القسطنطينية وتفتحان بالتكبير والتهليل ويعودون لمقاتلة الدجال في دمشق وبينما هم يتصافون للقتال إذ أقيمت الصلاة فيهبط عيسى ﷺ ويأتم بإمام المسلمين ويعاون المهدي عيسى عليه السلام في قتال الدجال في الأرض المقدسة والله أعلم.

وفي تقديري ثمة رأي آخر وهو موت الخليفة الذي ورد ذكره في حديث أم سلمة ويبايع للمهدي بين الركن والمقام، وبعد انتصاره على جيش كلب والخسف بالجيش الذي يغزو المدينة بأمرة السفياني، يأتيه عصائب أهل العراق وأبدال أهل الشام ويبايعونه ثم يسير معهم لملاقاة الروم في بلاد الشام. وهنا تكون الرايات السود الآنية من خراسان لنصرة المهدي فتقع الملاحم. تقع ملحمة الغوطة أولاً، ثم ملحمة مرج دابق ثانياً، ثم يندفع الجيش لفتح القسطنطينية ورومية ثم يعود الجيش إلى بلاد الشام لملاقاة الدجال وقتاله والله أعلم.

١١- يقول مؤلف كتاب الأرض المقدسة ص ١٩٥. إن المتتبع لما عند أعداء أمة الإسلام اليهود والنصارى ينبغي لفت النظر إليه وهو الاعتقاد بمجيء يوم يحدث فيه صدام بين قوى الخير وقوى الشر وهي عقيدة " الهرمجدون" وقد استغل اليهود هذا الاعتقاد عند النصارى وأقنعوهم أن دولة اليهود على أرض فلسطين ستكون بمثابة موقع متقدم لقتال المسلمين. ومجدون هذه قرية تبعد ٥٥ ميلاً عن تل أبيب جنوب شرق مدينة حيفا".

والنصوص الموجودة في التوراة والإنجيل غائمة هم يفهمونها لذا صرفت النظر عن نقلها. ويتناقل هذه النصوص كثير من القسس والمبشرين العالميين ومدراء معاهد الدراسات

المسيحية وبعض معلقي الصحف. ولقد تعدى هذه المستويات العلمية والدينية إلى المستويات السياسية، من أمثال الرئيس ريجان، ورئيس مجلس الشيوخ الأمريكي جيمس ملز، وتوم داين عضو اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة. ولقد صرح القس سوجارت في التلفزيون ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥م يجب أن لا نتوصل إلى اتفاقات مع الإتحاد السوفيتي، إن معركة هرمجدون مقبلة، وستقع المعركة في سهل مجدو، وحذر القس بيلي جراهام بأن العالم يتحرك بسرعة نحو معركة مجدو وأن الجيل الحالي قد يكون آخر جيل في التاريخ. وقال إن أكبر معركة في التاريخ ستقع في الشرق الأوسط.

وفي تصريح للرئيس ريجان مع اللوبي اليهودي قال: إنني أعود إلى أنبيائكم القدامى في العصر القديم وإلى الدلائل التي تتنبىء بمجد. جدتي أتساءل عما إذا كان الجيل الذي سيشهد ذلك لا أدري إن كنت لاحظت أياً من هذه التنبؤات في الأزمنة الأخيرة ولكن بالتأكيد هي تصف الزمن الذي نعيشه..!!

وإليكم هذا النص الوارد في كتاب العهد الجديد في رؤيا يوحنا اللاهوتي الإصحاح التاسع عشر جملة ٦٨:

"ورأينا ملاكاً... ينادي الطيور بصوت عالٍ هلمي اجتمعي معاً إلى وليمة الله الكبرى!! تعالي!! والتهمي لحوم الملوك والقادة والأبطال والخيول وفرسانها".

هذا النص أوردته للاستئناس : إنها الملحمة الكبرى التي حدثنا عنها رسول الله ﷺ وتكلمنا عنها في بحثنا هذا.

جـ ـ ما جاء في ظهور المهدي:

قال ابن تيمية رحمه الله في المنتقى ص ٥٣٤: الاحاديث الدالة على خروج المهدي صحيحة. وقال إبراهيم العلي في كتابه الأرض المقدسة ص ١٨٤ نقلاً عن السفاريني في لوائح الأنوار:" لقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي ". وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم . وحتى قال بعضهم الإيمان بخروج المهدي

واجب"، ويعتقد أهل السنة أن المهدي رجل صالح من نسل رسول الله ﷺ سيظهر في آخر الزمان ليرشد الناس إلى الحق ويردهم عن الضلال. وهذا الاعتقاد إنما هو امر فرعي".

وقال محمد البرزنجي في كتابه " الإشاعة" : أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان. وأنه من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة رضي الله عنها بلغت حد التواتر المعنوي فلا معنى لإنكارها ".

وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني في كتابه" التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال المسيح": الأحاديث الواردة في المهدي متواترة بلا شك ولا شبهة. والآثار الواردة عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة ولها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك ".

وقد عد الشوكاني الأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف وهي متواترة بلا شك ولا شبهة . ويقول علماء الحديث: إن الحديث المتواتر لا ينظر في سنده. وجاء في كتاب "مناقب الشافعي" لمحمد بن حسين الإبري: " قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي. وأنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه السلام سينزل ويساعده في قتل الدجال وإليكم بعض الأحاديث:

– عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي. يواطىء اسمه اسمي واسم ابيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً" رواه أبو داود برقم ٤٢٨٢ . وأحمد والترمذي برقم ٢٢٣٠ بأسانيد صحيحة وقال الترمذي عنه حسن صحيح. إتحاف الجماعة ٣/٣٧٠. كما أخرج أبو داود من حديث أم سلمة " المهدي من عترتي من ولد فاطمة برقم ٤٢٨٤. وكذلك أخرجهما أبو داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن أم سلمة رضي الله عنها. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ما يشير إلى خروج المهدي، انظر جامع الأصول ١٠/٣٣٠ وما بعدها، وأخرج بعض هذه الروايات الترمذي

وابن ماجة وأحمد.

وقال ابن خلدون في الفصل الثاني والخمسين من المقدمة "اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي" وذكر بعض الأحاديث، وسأكتفي بذكر الصحيح منها والحسن والله المستعان.

- عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى أحد منهم. ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم.. فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدي". رواه ابن ماجة بإسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ورواه أحمد مختصراً " إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي .إتحاف الجماعة ٢/٢٨٧.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :" يخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيء، حتى تنصب بإيلياء " رواه أحمد والترمذي وقال حسن غريب. وكذلك عن علي رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده لا يذهب الليل حتى تجيء الرايات السود من قبل خراسان حتى يوثقوا خيولهم بنخلات بيسان والفرات".

وعلق ابن كثير على هذه الروايات فقال: هو محمد بن عبد الله العلوي الحسني يصلحه الله في ليلة يؤيده بناس من المشرق ينصرونه ويقيمون سلطانه".وتكون راياتهم سود وكذلك كانت راية رسوْل الله ﷺ يقال لها العقاب. إتحاف الجماعة ٢/٢٨٨.

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يملك سبع سنين "أبو داود برقم ٢٤٨٥ وبسند حسن.

– وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر عن رسول الله ﷺ:" يكون في آخر أمتي خليفة يحثو المال حثواً لا يعده عداً ".

– وعن محمد بن الحنفية عن أبيه رضي الله عنهما قال: كنا عند علي رضي الله عنه فسأله رجل عن المهدي فقال له : "ذلك يخرج في آخر الزمان ، إذا قال الرجل الله الله قتل. ويجمع الله له قزعاً كقزع السحاب. يؤلف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون إلى أحد، ولا يفرحون بدخول أحد عدتهم على عدة أهل بدر، لا يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون. على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، يخرج من بين هذين الأخشبين" رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

– وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :" يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام. ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه. ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثاً يظهرون عليهم وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم. ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون". رواه أحمد وأبو داود بسند حسن. إتحاف الجماعة ٢/٣٠١.

– عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : يغزو جيش الكعبة. فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم. قالت: قلت يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم" متفق عليه. ورواه الإمام أحمد، وهذا لفظ البخاري. ولفظ مسلم.. " العجب أن أناساً من أمتي يؤمون بالبيت برجل من قريش ، وقد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم". فقلنا يا رسول الله: إن الطريق قد يجمع الناس؟ قال: نعم... يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم". وبنحوه لفظ الإمام أحمد . انظر

إتحاف الجماعة ٢/٢٥٦.

- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم . فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهاً ؟ قال يخسف به معهم ولكن يبعث يوم القيامة على نيته". قال أبو جعفر هي بيداء المدينة. ورواه أحمد ومسلم . وهذا لفظ مسلم ورواه أبو داود الطيالسي والسجستاني مختصراً. ورواه الحاكم بنحو رواية مسلم . وقال صحيح على شرط الشيخين. المصدر السابق ٢/٢٥٦.

- وفي رواية لأم سلمة قالت: بينما رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي إذ احتفز جالساً وهو يسترجع. فقلت: بأبي وأمي ما شأنك يا رسول الله، تسترجع؟ قال: جيش من أمتي يجيئون من قبل الشام يؤمون البيت، لرجل يمنعه الله منهم حتى إذا كانوا بالبيداء من ذي الحليفة خُسف بهم ومصادرهم شتى". رواه أحمد عن الحسن عن أم سلمة رضي الله عنها. فهو ربيب أم سلمة. ورواه أيضاً عن أمه خيرة عن أم سلمة رضي الله عنها بنحوه. ورواه المهاجر بن القبطية عن أم سلمة. ورواه الترمذي وابن ماجة عن نافع بن جبير عن أم سلمة رضي الله عنهم. وكذلك رواه أنس عن أم سلمة بنحوه . ورواه أحمد ومسلم وابن ماجة عن حفصة رضي الله عنها: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ثم ساقت الحديث، وكذلك رواه أحمد والترمذي وابن ماجة عن صفية أم المؤمنين رضي الله عنها بنحوه. وقال الترمذي حسن صحيح. انظر المصدر السابق ٢/٢٥٧.

- وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :"المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة " رواه أحمد وابن ماجة في الفتن برقم ٤٠٨٥ بإسناد حسن. واحتج به مسلم في صحيحه.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" لن تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي في وسطها " رواه النسائي وغيره جـ٢/٢٨٠. إتحاف الجماعة.

- وعن أم سلمة رضي الله عنهما قالت : قال رسول الله ﷺ :" يسير ملك المغرب إلى ملك المشرق فيقتله فيبعث جيشاً إلى المدينة فيخسف بهم. ثم يبعث جيشاً فيعوذ عائذ إلى الحرم فيجتمع الناس إليه كالطير الواردة المتفرقة، حتى يجتمع إليه ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً فيهم نسوة فيظهر على كل جبار وابن جبار، ويظهر العدل ويحيا سبع سنين". رواه الطبراني في الأوسط قال الهيثمي: فيه ليث بن أبي سليم مدلس وبقية رجاله ثقات ٢جـ/٢٨٣. إتحاف الجماعة.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" يخرج رجل يقال ل له السفياني في عمق دمشق وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء، فتجتمع له قيس فيقتلها، حتى لا يمنع ذنب تلعه، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة. فيبلغ السفياني فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم. فيسير إليه السفياني بمن معه حتى إذا صاروا ببيداء من الأرض خسف بهم فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم". رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في تلخيصه. إتحاف الجماعة ٢جـ/٢٨٤.

- هذه الأحاديث خلاصة مما كتبه الشيخ التويجري عليه رحمة الله. وقد بذل جهداً كبيراً في انتقائها. وليته ألف بينها وأعطانا صورة واضحة في التوفيق بينها. مع أنه في ختام بحثه أعطى صورة واضحة من حيث أسانيدها، كما نقل أقوال كبار العلماء وآراءهم في أحاديث المهدي منهم شيخ الإسلام ابن تيمية والشوكاني - كما نقل لنا آراء أبي عبية في تعليقه على النهاية لابن كثير إذ يقول: إن ما قيل في المهدي كلها أحاديث ضعيفة. وقد أفاض الشيخ التويجري عليه رحمة الله في الرد على أبي عبية. وبين خطأه في تضعيف أحاديث المهدي، وبين أنها متواترة معنوياً نقلاً عن الشوكاني والآجري والهيثمي والسفاريني والبرزنجي وصديق بن حسن. وقالوا: إن أحاديث المهدي بلغت حد التواتر ولا معنى لإنكارها.

ويتبين لنا مما ذكرنا من الأحاديث أن المهدي من عترة النبي ﷺ من أبناء الحسن رضي ا لله عنه، وأن الله يصلحه في ليلة وأنه يبايع عند موت خليفة. فيُبعث إليه جيش من الشام

فيخسف بهم. فيأتيه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق. وينزل الأرض المقدسة ويعلو على كل جبار و ابن جبار، وأنه يملك سبع سنين، وإنه يملأ الأرض عدلاً ويصلي عيسى بن مريم عليه السلام خلفه. ثم يساعد عيسى في القضاء على الدجال.

قول الشيخ التويجري رحمه الله في معرض رده على أبي عبية لتضعيفه أحاديث المهدي، وأنها رغم كثرتها ووفرتها لا تلزم المسلم اعتقاد مضمونها وأنها رمز لانتصار الحق والخير..!! فيقول:

١- لقد صحت الأحاديث في خروج المهدي ولا عبرة بمن جهل ذلك من العصريين الذين ليست لهم بصيرة يميزون الأحاديث الصحيحة من الضعيفة.

٢- إن من ضعف أحاديث المهدي، لا يخلو من أحد أمرين، أن يكون جاهلاً بأحاديث المهدي ، أو أن يكون عالماً بما فيها . وأن حكمه عليها بالضعف مكابرة أو تقليداً لبعض من يشار إليهم من العصريين، وما أعظم إثم ذلك.

٣- أما من حيث عدم إلزام المسلم باعتقاد مضمونها، فإن كل ما صح عن النبي ﷺ أنه أخبر بوقوعه، فالإيمان به واجب. "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" وليس التواتر في الأخبار عن المغيبات شرطاً لوجوب الإيمان بها. بل كل ما صح سنده عن النبي صلى الله عليه وسلم فالإيمان به واجب، وسواءً كان متواتراً أم خبر آحاد. وهذا قول أهل السنة والجماعة. إتحاف الجماعة ٢٩٢/٢ بتصرف. وللعلم أن حديث لا مهدي إلا عيسى بن مريم فهو حديث معلول عند المحققين والحديث المعلول لا يعتد به عند المحققين وهو ضعيف.

د ـ فتح القسطنطينية:

لقد بينت أحاديث النبي ﷺ أن القسطنطينية ستفتح ببيان مفصل وبيان مجمل. وعلى هذا اختلف الكتّاب وإليكم بعض ما ورد في فتح القسطنطينية:

١- عن عبدالله بن بشر الخثعمي عن أبيه رضي الله عنهما : أنه سمع النبي ﷺ يقول:

لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش" رواه أحمد والبزار وابن خزيم والطبراني. قال الهيثمي : رجاله ثقات. ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي في تلخيصه ٤٠٣/١ إتحاف الجماعة.

٢- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب. إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً قسطنطينية أم رومية؟ فقال رسول الله ﷺ : مدينة هرقل تفتح أولاً". رواه أحمد. قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، ورواه الدارمي في سننه، والحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "فتح القسطنطينية مع قيام الساعة" رواه الترمذي. وقال شيخه ابن غيلان هذا حديث غريب. فتحت في زمان بعض أصحاب النبي ﷺ وفي هذا نظر. ويمكن أنه أراد بذلك الغزوة التي غزاها يزيد بن معاوية ومات فيها أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ودفن عند سورها. وغزاها مسلمة بن عبدالملك وصالحهم على بناء مسجد فيها.ولقد فتحت القسطنطينية في سنة سبع وخمسين وثمانمائة على يد السلطان العثماني محمد الفاتح وسمي الفاتح لفتحه القسطنطينية. و لم تزل القسطنطينية في أيدي العثمانيين ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا. وهذا الفتح يوافق الحديث الذي رواه عبدالله بن بشر الخثعمي الذي سبق ذكره. أما الفتح الذي ورد في حديث أنس إنما يكون بعد الملحمة الكبرى ومتزامن مع خروج الدجال أو قبيله. إتحاف الجماعة ٤٠٣/١.

ومؤلف كتاب "الأرض المقدسة" يستبعد فتح القسطنطينية ثانية على اعتبار أنها فتحت عام ٨٥٧ هـ الموافق ١٤٥٤م وأن المقصود بما ذكره النبي ﷺ بفتح القسطنطينية بعد وقوع الملحمة إنما هو رومية وأنها كان يطلق عليها القسطنطينية الرومية. ويأتي بصفات وأقوال لا تثبت تاريخياً ولا واقعياً. ويحور حديث النبي ﷺ " سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر ويقول إنها رومية ...! مستدلاً على ذلك بكلام القزويني في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد حيث قال: روما هي مدينة لها ثلاثة جوانب في البحر.." وهذا لا ينطبق على روما لأن

لروما خليج على البحر وبعيدة عنه. ووصف النبي إنما ينطبق على القسطنطينية التي تسمى الآن الاستانة أو اسطنبول.

أما مؤلف كتاب إتحاف الجماعة فإنه أكثر دقة وواقعية مع منطوق الاحاديث فيرى في صفحة ٤٠٣/١ أن الفتح العثماني للقسطنطينية ليس هو المقصود بحديث أنس وبالأحاديث التي سنوردها لأن الفتح الثاني للقسطنطينية إنما هو بعد ملحمة الغوطة وقبيل خروج الدجال بزمن يسير. كما أن حديث معاذ يبين أن فتحها بالتهليل والتكبير.لا بالعدد والعدة والنفير، ويكون فتحها على أيدي العرب لا على أيدي التركمان.

ويدل على ذلك قوله ﷺ في حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه " ثم يخرج إليهم روقة المسلمين أهل الحجاز الذين لا تأخذهم با لله لومة لائم. حتى يفتح عليهم قسطنطينية وروما بالتسبيح والتكبير" وفي حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه عند مسلم: " فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ" وفي حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ويستمد المسلمون بعضهم بعضاً حتى يمدهم أهل عدن أبين" وفي حديث ذي مخمر رضي الله عنه " أن الروم يقولون لصاحبهم كفيناك حد العرب" هذه الأحاديث مخرجة في موضعها وذكرت هنا للاستشهاد، وإني أرى أن ما ذهب إليه الشيخ التويجري عليه رحمة الله، أن الفتح الثاني للقسطنطينية غير الفتح العثماني الأول. وهذا يطابق منطوق الأحاديث ويتوافق مع الواقع. إتحاف الجماعة ٤٠٤/١.

ولقد استغرب كثير من المسلمين عودة القسطنطينية إلى الكفر. وهي لا تزال بلدة إسلامية يحكمها نظام علماني.

والذي يزيل هذا الاستغراب ويحقق نبوءة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعودة فتح القسطنطينية الذي هو مزامن لخروج الدجال. ما تناقلته وسائل الإعلام حديثاً، من أن أوربا تطالب تركيا بعودة الجزء الغربي من القسطنطينية " استبنول" الآن إلى أوروبا...!! وأوربا الآن تملك القوة ومن يملك القوة فعل...!! والجزء الغربي من البسفور يعتبر أرض أوربية لا جدال فيها، وليست أبعد من انتزاع فلسطين وإعطائها لليهود. والله أعلم .

البحث الرابع

أ ـ خروج الدجـــال :

لقد أخبرنا النبي ﷺ عن فتنة من أعم وأكبر الفتن التي تواجه البشرية بشكل عام وأمة الإسلام بشكل خاص. فما من فتنة إلا وهي ممهدة لفتنة الدجال. قال ﷺ : "الدجـال شر غائب ينتظر". وتبلغ فتنته الذروة حتى أن الناس ليفرون منه في الجبـال والحصـون يلـوذون فيها خوفاً من فتنته. والأحاديث التي ذكرت في الدجال كثيرة وصحيحة. وإني سأقتصر على ذكرِ القليل منها، لا تهويناً مـن شأن الدجال ولكن لأنها واضحة ولا لبس فيها بخلاف أحاديث عودة الخلافة الراشدة وخروج المهدي فهي كما رأينا متداخلة ويكتنفها شيء من الضبابية. فمن شاء الاستزادة فليراجع كتب الحديث بحث الدجال.

١ – حديث عامر بن شراحيل الشعبي رحمه الله، أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول. فقال: حدثيني حديثاً سمعتيه من رسول الله ﷺ لا تسنديه إلى أحد غيره فقالت: لئن شئت لأفعلن. فقلت لها: أجل. فقالت: فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي ـ منادي رسـول الله ﷺ ـ ينادي الصلاة جامعة. فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ. فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم. فلما قضى رسول الله صلاته، جلس على المنبر فقال :" ليلزم كل إنسان مصلاه" ثم قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال. حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام. فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم أرفقوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس. فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة – وفي رواية إنسانة – أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا:

ويلك! ما أنت ؟ فقالت: أنا الجساسة قالوا: وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم: انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير. فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشده وثاقاً. مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد . قلنا ويلك ما أنت ؟ قال :قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قالوا : نحن إناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها.فدخلنا الجزيرة ، فلقينا دابة أهلب كثير الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك! ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة... قلنا: وما الجساسة ؟ قالت اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق.. فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها . ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخل بيسان هل يثمر ؟ قلنا نعم. قال : إما أنه يوشك أن لا يثمر. قال: أخبروني عن بحيرة طبريا هل فيها ماء ؟ قلنا : هي كثيرة الماء. قال إما أن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زغر هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له نعم، هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل ؟ قلنا : قد خرج من مكة ونزل المدينة يثرب. قال: أقاتله العرب؟ وكيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال: إما أن ذاك خير لهم، وإني مخبركم عني أنا المسيح الدجال وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلما أردت أن أدخل واحدةً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها. قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة ـ يعني المدينة ـ ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم .فإنه أعجبني حديث تميم إنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام أو في بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو". رواه مسلم برقم ٤٩٤٢ وأبو داود برقم ٤٣٢٦ وابن ماجة برقم

٤٠٧٤ والترمذي وأحمد في مسنده ورواه الطبراني في الكبير بنحو ما تقدم انظر إتحاف الجماعة خبر الجساسة ٢/جـ ٣٢٤.

٢- عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: " يأتي على الناس زمان يتمنون فيه الدجال مما يلقون من العناء ". رواه الطبراني في الأوسط . وقال الهيثمي رجاله ثقات رواه البزار بنحوه ورواه نعيم بن حماد في الفتن بنحوه ٣٦٥/٢ إتحاف الجماعة.

٣- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنا قعوداً عند رسول اللهﷺ فذكر الفتن فأكثر في ذكرها... الحديث وفيه: ثم فتنة الدهيماء لاتدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته. فإذا قيل انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً. حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط ايمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه. فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو غده. رواه أحمد وأبو داود والحاكم في مستدركه وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي في تلخيصه. إتحاف الجماعة ٣٦٦/٢.

٤- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال. وفي رواية عنه: " الملحمة الكبرى وفتح القسطنيطية وخروج الدجال في سبعة أشهر ". رواهما أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والحاكم. انظر إتحاف الجماعة رقم ٣٦٧/٢.

٥- عن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها قالت: كان رسول اللهﷺ في بيتي. فذكر الدجال فقال: إن بين يديه ثلاث سنين سنه تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله فلا يبقى ذات ضرس أو ذات ظلف من البهائم إلا هلكت. فقلت: فكيف بالمؤمنين يومئذ ؟ قال رسول اللهﷺ:"يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس". رواه عبد الرزاق، وأحمد وأبو داود

الطيالسي والطبراني. وقال ابن كثير: رواية أحمد إسنادها لا بأس به. انظر ٢جـ/٣٧١ إتحاف الجماعة وبنحوه. روته عائشة وأسماء بنت عميس رضي الله عنهما. وأبو أمامة الباهلي رضي الله عنه.

٦- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته عن الدجال. وحذرناه فكان من قوله: أيها الناس إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال. وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته من الدجال. وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم. وهو خارج فيكم لا محالة. وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيجه عن كل مسلم.وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه. والله خليفتي على كل مسلم إنه يخرج من خلة بين الشام والعراق. فيعيث يميناً ويعيث شمالاً. يا عباد الله، اثبتوا. فإني سأصفه لكم صفةً لم يصفها إياه نبي قبلي، ... يقول أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا. وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور. وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب. وإن من فتنته أن معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار. فمن ابتلي به فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف. وإن من فتنته أن يقول لأعرابي إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطاناً في صورة أبيه وأمه فيقولان يا بني اتبعه فإنه ربك. وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها حتى يلقى شقتين ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن ثم يزعم أن له رباً غيري. فيبعثه ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله وأنت عدو الله أنت الدجال والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم. وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر. ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت. وأن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت. ويمر بالحي فيصدقونه فتروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعاً. وأنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة محرمتان عليه . فينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة. فترجف

المدينة بأهلها ثلاث رجفات. فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه. ينفي الخبث منها كما ينفي الكير صدأ الحديد. وإن لبثه في الأرض أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، ويوم كأيامكم، وآخر أيامه كسراب. قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي في تلك الأيام؟ قال: تقدرون في الأيام القصار كما تقدرون في الأيام الطوال. وهذا الحديث نحمله على ظاهره من حيث طول الأيام. وما قيل أنها من شدة الكرب والمعاناة فإنها مجرد اجتهاد.

قالت أم شريك: يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال : العرب يومئذ قليل ... وإمامهم رجل صالح بينما إمامهم تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم. فرجع ذلك الإمام ينقص ليقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه ويقول: تقدم فصلّ فإن الصلاة أقيمت لك، فيصلي فيهم أمامهم . وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، أن عيسى بن مريم ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهر ودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ . فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات . ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه. فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله" أخرجه مسلم والترمذي .

وفي رواية: إذا انصرف من الصلاة، قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب. فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلي وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً.. فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله، فيهزم الله اليهود. فلا يبقى شيئ مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا قال يا عبدالله يامسلم هذا يهودي ورائي فتعال اقتله إلا الغردقة فإنه من شجر اليهود. فيكون ابن مريم في أمتي حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة. فلا تسعى على شاة ولا بعير. وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في فم الحية فلا تضره. وتفر الوليدة الأسد فلا

يضرها. ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها. وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزراها وتسلب قريش ملكها، وتنبت الأرض نباتها، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم. ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم. وإن أيامه أربعون يوماً يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، ويوم كيومكم هذا وبقية أيامه كالسراب. قالوا: وكيف نصلي في تلك الأيام القصار؟ قال: تقدرون فيها كما تقدرون في الأيام الطوال.

وفي رواية عن عبدالله بن عمرو أنه يمكث سبع سنين ليس بين اثنين عداوة. رواه ابن ماجة وابن خزيمة والحافظ الضباء المقدسي. ورواه الحاكم في مستدركه، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي في تلخيصه. انظر إتحاف الجماعة ٥٤/٣، وروى بعضه أحمد ومسلم وابن ماجة.

٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: بنو تميم أشد أمتي على الدجال" متفق عليه.

٨- عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه رضي الله عنه، أن عمر بن الخطاب سأل يهودياً عن الدجال فقال: "وإله يهود ليقتله ابن مريم بفناء لد". رواه ابن أبي شيبة وإسناده صحيح على شرط الشيخين. ورواه عبدالرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه، واسناده صحيح على شرط الشيخين.

٩- وفي حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ:" ... ثم يسير حتى يأتي عقبة أفيق، فينهزم منه الدجال حتى يدركه في باب لد فيقتله. يتبعه كل منافق ومنافقة ويهودي ويهودية وكل من عميت بصيرته وانتزع الإيمان من قلبه، وبهذا يسيطر الدجال على القلوب الفارغة والعقول الخاوية. وهو قصير أفحج جعدٌ أعور مطموس العين وهو أهون على الله من أن يجعله مضلاً للمؤمنين ومشككاً لقلوبهم، بل إنما جعله الله ليزداد الذين آمنوا إيماناً يثبت الحجة على الكافرين، ومن سمع بالدجال فلينأ عنه

فو الله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنـه مؤمـن فيتبعـه مما يبعـث معـه مـن الشـبهات والشهوات .

وقد تواترت الأحاديث بخروج الدجال ونزول عيسى عليه السـلام ولا دخـل لـلرأي في ذلك.

ويقول الامام النووي رحمة الله في شرح صحيح مسلم: قـال القـاضي عيـاض: هـذه الأحاديث التي ذكرها مسلم في صحيحه والتي ذكرها غيره في الدجال حجة لمذهـب أهـل الحق في صحة وجوده. ابتلـى الله بـه عبـاده وأقـدره الله علـى أشـياء مـن مقـدورات الله سبحانه وتعالى وهذا مذهب أهل السنة والجماعة خلافاً لمن أنكره من الخوارج وغيرهم .

وجاء في إتحاف الجماعة أنه قد اشتملت الأبواب التي ذكر فيها الدجـال، علـى أكـثر من مئة وتسعين حديثاً من الصحاح والحسان سوى ما فيها من الأحاديث الضعيفـة. وقـد مر قسم منها في ذكر نزول عيسى عليه السلام. ولو لم يكـن في التحذيـر مـن الدجـال إلا الاستعاذة من فتنته في آخر كل صلاة لكان ذلك كافياً في إثبات خروجه. وقد أجمـع أهـل السنة والجماعة في خروج الدجال في آخر الزمان. وبذلك يعلم أن من أنكـر وجـوده فقـد خالف ما عليه أهل السنة والجماعة. وقد مـيز الله الأرض المـقدسة فجعلـها مقـبرة لكـل طامع كما اختارها درعاً حصيناً للمسلمين حيث
فيها الأمن والإيمان.

وفي ختام هذا البحث لا بد من ذكر شيء عن ابن صياد فقد أشكل أمره على بعـض أصحاب رسول الله ﷺ.كما اختلف علماؤنا الأفاضل في شأنه اختلافاً كبيراً. وإني آثرت أن أضرب صفحاً عن ذكر الاختلاف في ابن صياد فلا طائل من ذكره. فقـد أمسـك عـن ذكر شيء في ابن صياد من كان سبباً في هدايتنا وتحذيرنا منه نبينا محمد ﷺ .

فلـو كـان الدجـال ابـن صيـاد أو كـان غـيره فقـد تحقـق لنـا مـن خـلال بحثـنا أن ا لله سـبحانه وتعـالى أراد ابتـلاء المسـلمين بالدجـال لـيزداد الذيـن آمنـوا ايمانـاً، ويهلـك الذيـن في قلوبهـم مـرض. وأنـه سـيخرج في آخـر الزمـان، وأنـه شـر غـائب ينتظـر، وأن

ابن مريم سيقتله في باب لد.

أما ابن صياد فهو يهودي ولد في المدينة من أبوين يهوديين التبس أمره على بعض الصحابة منهم عمر بن الخطاب وابنه عبدالله وعبدالله بن جابر وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم فقد شارك في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه واختفى يوم الحرة حيث شفى غليله بالنكبة التي حلت بالمسلمين آنذاك.

ب) نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال :

وقد أخبر سبحانه وتعالى بنزول عيسى عليه السلام في آيتين من القرآن الكريم، وأشار إليه في آية ثالثة. أما الآية الأولى فقوله تعالى: ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً (١٥٩) ﴾ [النساء]. والضمير في موته يعود على عيسى عليه السلام. قاله ابن جرير وإبن كثير عليهما رحمة الله. وهو قول أبي هريرة وسعيد بن جبير والعوفي وابن عباس رضي الله عنهم . وبه قال الحسن وقتادة وعبدالرحمن بن زيد ابن أسلم وغيرهم. وهو الشهيد عليهم يوم القيامة.

وأما الآية الثانية فهو قوله تعالى: ﴿وإنه لعِلْم للساعة﴾ وقرأ ابن عباس وأبو هريرة والأعمش وقتاده ﴿وإنه لَعَلَم للساعة﴾ أي أمارة وعلامة على اقتراب الساعة، وعلى القراءة الأولى قال ابن عباس هو خروج عيسى، وكذلك قاله أبو هريرة ومجاهد والحسن وقتادة وهكذا روى عن أبي العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم.

وأما الإشارة في الآية الثالثة فهي قوله تعالى: ﴿حتى تضع الحرب أوزارها (٤) ﴾ [محمد]. وجاء في الحديث الذي رواه أبو داود: " الجهاد ماضٍ إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال". وقد سردنا في حديث عوف بن مالك وحذيفة وأبي أمامة الباهلي أن دون أن تضع الحرب أوزارها خلالاً سته آخرها الدجال ونزول عيسى، وبذلك قال مجاهد والفريابي وابن حميد وابن المنذر والبيهقي عن مجاهد.

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ عن نزول عيسى عليه السلام. وسأذكر بعض الأحاديث فقد أجمعت الأمة على نزول عيسى عليه السلام قاله الإمام السفاريني رحمه الله(الأصول ١٠/٣٤١).

١- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ وقد أشرت إليه في الملاحم صفحة /٥٣ وفيه: وبينما هم يقتسمون الغنائم إذ صاح فيهم الشيطان أن المسيح الدجال قد خلفكم في أهليكم . فيخرجون فإذا جاءوا الشام خرج الدجال. فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة. فينزل عيسى بن مريم فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء . ولكن يقتله الله بيده".(متفق عليه).

٢- ومن حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: " إذا بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق. بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين . إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر كجمان اللؤلؤ . ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه . فيلحقه حتى يدركه بباب لد فيقتله.. ". أخرجه مسلم وأحمد وأبو دواد والترمذي وابن ماجة برقم ٤٠٧٥ .

٣- حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ ...الحديث فقالت أم شريك: يا رسول الله، فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل وجلهم بيت المقدس وإمامهم رجل صالح. فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عيسى عليه السلام فرجع ذلك الإمام ينقص ليتقدم عيسى يصلي بالناس، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت. فإذا انصرف من الصلاة. قال عيسى: افتحوا الباب. فيفتح ووراءه الدجال. فإذا نظر إليه الدجال ذاب... وينطلق هارباً ... فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم يا عبدالله هذا يهودي فتعال

اقتله " رواه ابن ماجة وابـن خزيمـة والحـافظ والضيـاء المقدسـي. راجـع صفحـه ٨٨ حديث أبي أمامة الباهلي.

٤- وفي حديث حذيفة بن أسيد الغفـاري رضـي الله عنـه، أنـه قـال:" الدجـال يخـرج في بغض من الناس وخفةٍ من الدين وسوء ذات بين. فيرد كل منهل. وتطوى له الأرض طي فروة الكبش، حتى يأتي المدينة، فيغلب على خارجهـا ويمنـع داخلهـا، ثـم يـأتي جبل إيلياء، فيحاصر عصابة من المسلمين، فيقول لهم الذي عليهم: ما تنتظرون بهـذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم ، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحـوا فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم ، فيقتل الدجال. ويهزم أصحابه: حتى أن الشـجر والحجر والمدر يقول: يا مؤمن: هذا يهودي تعال فاقتله" رواه الحاكم في مسـتدركه. وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه. وقال الذهبي في تلخيصـه: علـى شـرط البخـاري ومسلم . قال الشيخ التويجري رحمه الله: وله حكم المرفوع، لأن مثـل هـذا لا يقـال من قبل الرأي . وإنما يقال عن توقيف. انظر إتحاف الجماعة ١٠٢/٣.

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ : "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليـب ويقتـل الخنزير ويضـع الجزيـة ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحـدة خـير مـن الدنيـا ومـا فيها ". متفق عليه.

وفي حديث عثمان بن أبي العاص وحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهمـا .. وفيه "ينحاز المسلمون إلى عقبة افيق" والرواية الثانية فيه:" يطلـع آخـر أمـره علـى بطن الأردن على ثنية أفيق.... وينزل عيسى عليه السلام عند صلاة الفجر.... فيقتل الدجال". رواه أحمد والطبراني والهيثمي وابن عساكر والحـاكم وقـال صحيـح علـى شرط مسلم، عقبة أفيق قرية في الجولان تشرف على بحيرة طبريا.

٦- وعن سمرة بن جندب أن رسـول الله ﷺ قـال:" وفيـه " أنـه يحصـر المؤمنـين في بيـت

المقدس فيزلزلون زلازلاً شديداً فيصبح فيهم ابن مريم فيهزمه الله وجنوده. رواه عدة وقالوا صحيح على شرط الشيخين.

من هذه الأحاديث الصحيحة يتبين أن عيسى عليه السلام ينزل بعد رجوع الجيش من فتح القسطنطينية، ويكون بإمرة المهدي عليه السلام. وبينما هم يصطفون للقتال تكون حانت صلاة العصر، فيصطفون للصلاة، إذ عيسى عليه السلام نازل بين مهرادتين وواضع كفيه على أجنحة ملكين عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.

بينما حديث أبي أمامة الباهلي يشير إلى أن المهدي ينزل ببيت المقدس عند صلاة الصبح، والأول أصح ويمكن الجمع بينهما أن بعد نزول عيسى في دمشق يلحق الدجال فيدركه عند عقبة أفيق، كما ورد في حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ، فيهرب منه إلى القدس ويحاصر المسلمون فيها. وفي صلاة الصبح يدركه عيسى عليه السلام كما ورد في حديث أبي أمامة رضي الله عنه، ثم يهرب منه فيقول له عيسى عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها. فيدركه عند باب اللد الشرقي فيطعنه في حربته ويقتله ويقتل المسلمون اليهود الذين معه.

ولقد بينت عدة أحاديث أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة، والبعض يقول أنه يلبث ثلاثة وثلاثين من ميلاده إلى رفعه ثم يمكث سبع سنين وهذا الرأي ضعيف . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:" والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو كليهما " رواه مسلم وأحمد، وفي رواية أحمد يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل غير الإسلام ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون، ويقبر في حجرة النبي ﷺ .

وروى الترمذي في جامعه عن عبدالله بن سلام قال: مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى ابن مريم ويدفن معه" وقد ورد في عيسى عليه السلام خمسة وخمسون حديثاً مرفوعاً أكثرها صحيح والباقي غالبه حسان. والغريب أن سيد قطب رحمه الله توقف في

نزول المسيح و لم يبد فيه رأياً وأن الشيخ شلتون أنكر أن يكون المسيح مرفوعاً بجسمه إلى السماء، كما أنكر نزوله إلى الأرض. وقد بينا رأي أهل السنة والجماعة والأدلة من الكتاب والسنة والإجماع، وقال ابن الهيثم رحمه الله في الكافية الشافية إن نزوله والإيمان به واجب بقطع ويقين. وأن رفعه تم رفعاً حسياً لا معنوياً. كما يقول أبو عبية وأضرابه.

جـ - خروج يأجوج ومأجوج :

لقد شاءت إرادة الله عز وجل أن تكون أرض الشام منطقة الحسم لأهم أحداث التاريخ البشري. حيث يقضى أولاً على الكيان اليهودي. ويمنع فساده من الأرض. ثم تكون الملاحم الكبرى وتفتح القسطنطينية وورومية. ثم خروج الدجال وإفساده في الأرض، ونزول عيسى عليه السلام والقضاء عليه. وبذلك يتحول مجرى التاريخ البشري بأكمله باتجاه رجحان كفة الإسلام وإنهاء الأخطار التي تتهددها .

ولكن القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تحدثنا عن خطر يتهدد أمة الإسلام بعد إزالة خطر الدجال ومن معه من اليهود. تحدثنا عن خطر أمةٍ من أقوى الأمم حابسها سبحانه من زمن ذي القرنين الرجل الصالح الذي حكم الأرض من مغربها إلى مشرقها.

فقد جاءت قصة يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم في سورة الكهف ﴿حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً قالوا ياذا القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾. وورد في سورة الأنبياء ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق﴾. أما الأحاديث فلن أذكر إلا ما كان ضرورياً ويعطي صورة حول هذه الفتنة، فتنة قوم يأجوج ومأجوج التي حبسها الله سبحانه عن إفساد خلقه. ولما بعثها في آخر الزمان تولى القضاء عليها بأضعف مخلوقاته. وهي صورة واضحة تبين قدرة الله وعظمته سبحانه وتعالى.

فعن شدة خطرهم وإستعاذة الرسول باللهﷺ من شرهم. تقول زينب بنت جحش رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: خرج الرسول ﷺ فزعاً محمراً وجهه، يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شرٍ قد اقترب! فُتح اليوم من سد يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها. قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث. متفق عليه. وعن كثرة عددهم يحدثنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يقول الله سبحانه يا آدم ... أخرج بعث النار قال وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون. فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف". متفق عليه. وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿ يوماً يجعل الولدان شيبا ﴾ قال ذلك يوم القيامة يقول سبحانه: يا آدم، قم فابعث من ذريتك بعثاً إلى النار. فقال: من كم يا رب؟ قال من ألف ينجو واحد. فشق ذلك على المسلمين قال رسول اللهﷺ حين أبصر ذلك في وجوههم قال: " أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف". ثم قال:"ما أنتم في الناس إلا كشعرة سوداء في جلد ثور أبيض أو شعرة بيضاء في جلد ثور أسود ". متفق عليه.

- وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ قال: الحديث وفيه "اعملوا وأبشروا فوالذي نفسي بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ومن مات من بني آدم وبني إبليس". رواه أحمد وأبو داود الطيالسي والترمذي وقال عنه حسن صحيح. ورواه النسائي والحاكم وقال عنه صحيح الإسناد ووافقه الذهبي في تلخيصه. إتحاف الجماعة ١٦٢/٣.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: أن يأجوج ومأجوج هم من ذرية آدم بلا خلاف. وقد روى الحاكم في مستدركه عن سعيد بن المسيب أنه قال: ولد لنوح ثلاثه سام وحام ويافت. فولد سام العرب وفارس والروم وفي كل هؤلاء خيرٌ. وولد حام السودان والبربر

والنبط. وولد يافت الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج". ورواه البزار في مسنده عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه وكلام الحافظ ابن كثير متوجه في هذا الباب.

ـ وفي شدة قوتهم وبطشهم، يحدثنا النواس بن سمعان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ ذكر الدجال ونزول عيسى عليه السلام وفيه:" فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم. فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله لهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون يمر أوائلهم على بحيرة طبريا يشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء. ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله سبحانه. فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

وفي رواية لمسلم: لقد كان في هذه مرة ماء. ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا أهل الأرض، هلموا فلنقتل أهل السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيردها الله عليهم مخضبة دماً. رواه مسلم رقم ٧٣.

– وعن سلمة بن نفيل رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن الخيل قد سيبت وأن الحرب قد وضعت أوزارها. فقال رسول الله ﷺ :"كذبوا ... لا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج". رواه أحمد وابن سعد والبخاري في تاريخه والنسائي والطبراني وابن مردويه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ :" ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج". رواه أحمد والبخاري.

من هذه الأحاديث يتبين أن هؤلاء قوم سيبتلى بهم المسلمون في آخر الزمان. وليس

لأحد مقدرة عليهم. يصل البغي فيهم حتى يتطاولوا على رب العزة، فيقهرهم سبحانه بأضعف مخلوقاته وهو الدود، يقتلهم جميعاً كقتل نفس واحدة. ثم يطهر الأرض منهم ومن نتنهم وهكذا ينتهي شر أخطر الأمم التي وجدت منذ خلق الله آدم إلى أن يرث الأرض ومن عليها بسلاح لا تملكه الأمم الأخرى، ولكن تملكه أمة الإسلام ألا وهو سلاح الدعاء إلى الله. فيدعو عيسى عليه السلام وأصحابه المسلمون فيرفع الله عنهم البلاء وتنتهي هذه الفتنة.

وقد اختلفت أقوال العصريين في يأجوج ومأجوج فبعضهم ينكر وجودهم بالكلية ووجود السد. ومستندهم أن السائحين منهم قد اكتشفوا الأرض كلها، وهذه الأقمار الصناعية تجوب السماء فلم يروا سد ذي القرنين ولا يأجوج ومأجوج. وهذا كفر وتكذيب بما أخبر به سبحانه في كتابه، وما أخبره على لسان نبيه. والواقع أن السد موجود، وأمة يأجوج ومأجوج موجودة. ولكن الله سبحانه وتعالى قد حال بيننا وبينهم وعمى عليهم ﴿ فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا ﴾. يصدقون السياح والأقمار، ويكفرون بحقائق القرآن. وكذلك ما زعمه الطنطاوي الجوهري في تفسيره أنهم التتار الذين خرجوا في القرن السابع الهجري. وتابع باطله صاحب كتاب دليل المستعين فزعم أن التتار هم أوائل يأجوج ومأجوج وأن بقيتهم تفرقوا في الأرض وصاروا دولاً. وكذلك يرى سيد رحمه الله: أن خروج يأجوج ومأجوج قد تم بغزوهم للممالك الإسلامية في القرن السابع الهجري. وما أحسن ما ختم به قوله رحمه الله:" أن كل ما نقوله ترجيح لا يقين".

ولقد جرى حوار بيني وبين الشيخ محمد المجذوب في أوائل القرن الخامس عشر، فزعم أن يأجوج ومأجوج هم أهل الصين غفر الله له. والواجب على المسلم الإيمان بما أخبر الله سواء في كتابه أو ما أخبره على لسان نبيهﷺ. ولا يعرج على أقوال المتكلفين المتخرصين حفظاً لدينه. وأن اليقين أن خروج يأجوج ومأجوج لم يقع بعد لأن هذا الخروج معاصر لزمن نزول عيسى عليه السلام ويهلكهم الله ببركة دعاء عيسى عليه

السلام وأصحابه.

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قـال :"ثـم يجـيء عيسـى بـن مريـم فيقتل الدجال ثم إنما هو قيام الساعة ".

وعن ابن مسعود رضـي الله عنـه قـال: أن النـبي ﷺ قـال: " لقيـت ليلـة أسـري بـي إبراهيــم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة. فذكر الحديث في خروج الدجــال وقتلـه، وخروج يأجوج ومأجوج ودعاء عيسى عليهم فيهلكهم الله، ثـم ذكـر عـن عيسـى عليـه السلام أنه قال فبينما عهد إليَّ ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحـامل المتم لا يدري أهلها متى تفاجئهم ليلاً أو نهاراً ".

وقد جاء في الخبر الذي أورده أبو هريرة رضي الله عنــه، أن النـبي ﷺ قـال:" يمكـث عيسى بن مريم أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون " . وقد مر معنا أنه يدفـن إلى جانب النبي ﷺ. رواه أحمد وأبو داود الطيالسي والسجستاني وابـن جريـر وابـن حبـان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح الاسناد ووثقه الذهبي في تلخيصه.

وفي حديث النواس بـن سمعـان ... "ثـم يقـال لـلأرض أنبـتي ثمرتـك وردي بركتـك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة. ويستظلون بقحفها ويبارك في الرســل. حتـى أن اللقحـة من الابل تكفي فئام الناس واللقحة من البقـر لتكفـي القبيلـة، واللقحـة مـن الغنـم لتكفـي الفخذ من الناس . ثم يبعث الله ريحاً طيبة تأخذ أرواح المؤمنين من تحت آبـاطهم، ويبقـى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر عليهـم تقـوم السـاعة".رواه أحمـد ومسـلم والـترمذي وابن ماجة وقال الترمذي حسن صحيح. إتحاف الجماعة ٣/١٥٠.

ومـن حديث ثوبان رضي الله عنه، مولى رسـول الله ﷺ قـال: "عصابتـان مـن أمـتي أحرزهما الله تعالى من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى بـن مريـم عليـه السلام" أخرجه النسـائي وأحمـد في المسـند وابـن عـدي في الكـامل وصححـه الألبـاني في سلسلته.

وقد أشار علي البعض أن أختم البحث في أول الآيات خروجاً الدالة على أشراط الساعة غير المألوفة. حيث أن بلاد الشام أرض الحشر والنشر.

د – ما جاء في أول الآيات الكونية غير المألوفة خروجاً:

عن أبي زرعة وابن عمر وابن جرير قالوا: جلس ثلاثة نفر من المسلمين، إلى مروان بالمدينة، فسمعوه وهو يحدث في الآيات: أن أولها خروجاً الدجال . قال: فانصرف النفر إلى عبدالله بن عمرو، فحدثوه بالذي سمعوه من مروان في الآيات، فقال عبدالله: لم يقل مروان شيئاً. قد حفظت من رسول اللهﷺ في ذلك حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن أول الآيات خروجاً: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة ضحى، فأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها ". رواه الإمام أحمد وهذا لفظه. ومسلم وأبو داود الطيالسي ، والسجستاني، وابن ماجة مختصراً، والبزار والطبراني في الكبير . قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح. إتحاف الجماعة ٢/٣١٩.

قال ابن كثير رحمه الله في كتاب "النهاية" في معرض تعليقه على حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما السابق. أن هذه الآيات الواردة في الحديث هي الآيات غير المألوفة، أما الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج. فهي مألوفة لأنهم بشر يشاهدها الناس، أما الدابة ومخاطبتها الناس، وخروج الشمس من مغربها. فهي غير مألوفة، وهي أول الآيات السماوية". ثم يتابع ابن كثير فيقول: "وقد حكى البيهقي عن الحاكم: أنه قال: أول الآيات ظهوراً خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها" . إتحاف الجماعة ٢/٣٢٠.

ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله في "فتح الباري": عن الحاكم أنه قال: الذي يظهر أن طلوع الشمس من مغربها يسبق خروج الدابة، والحكمة في ذلك، أن عند طلوع الشمس من مغربها يغلق باب التوبة ، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة. وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس

من المشرق إلى المغرب. كما في حديث أنس في مسائل عبدالله بن سلام. وسنورده إن شاء الله عند ذكر خروج النار .المصدر السابق نفسه ٢/٣٢١.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً: إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً، آية طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة". رواه مسلم والترمذي وقال عنه حديث حسن صحيح. ورواه الإمام أحمد بلفظ الدجال بدل الدخان والصحيح العكس ورواه ابن جرير.

وقد توافرت الأحاديث الدالة على أن التوبة لا تزال مقبولة ما لم تطلع الشمس من مغربها والله أعلم. وإليك ما جاء في هذه الآيات باختصار من القرآن الكريم والسنة:

الأولى : طلوع الشمس من مغربها، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً (١٥٨)﴾. قال البغوي: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾ طلوع الشمس من مغربها . وقال ابن كثير في تفسيرالآية : ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ ، أي إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذٍ لا يقبل منه وكذلك يغلق باب التوبة. فلا تقبل توبة أحد. وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ . أي لا يقبل منها كسب عمل صالح ما لم يكن عاملاً به من قبل. بتصرف قليل.

وإليك بعض الأحاديث الصحيحة التي تؤكد على القطع أن طلوع الشمس من مغربها أول الآيات خروجاً :

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس، آمنوا أجمعين وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً". متفق عليه. وكذلك

أخرجه الشيخان عن أبي ذرٍ رضي الله عنه قريباً منه.

٢- وأخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفةٍ ونحن نتذاكر الساعة. فقال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات منها : طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس. تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا". وقال الترمذي عنه حسن صحيح، وأخرج مسلم نحوه.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :"من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه". رواه أحمد ومسلم وابن حجر. إتحاف الجماعة ٢٠٤/٣.

٤- وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله قال ﷺ :" بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة. وخاصة أحدكم، وأمر العامة والدجال". وهذا يعني بادروا بالأعمال قبل أن يفجأكم ستة أمور المذكورة في الحديث. ومعنى خاصة أحدكم: الموت. وأمر العامة: الفتن والعياذ با لله. قال ابن حجر في الفتح ٣٥٣/١١: " الذي يترجح من مجموع الأخبار، أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذية بتغيير أحوال العالم السفلي في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى عليه السلام. وأن طلوع الشمس من مغربها هي أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أهوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة على شرار الناس". مع بعض التصرف.

فهذه الأحاديث مع الآية الكريمة دليل على أن من أحدث إيماناً أو توبةً بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل منه فهي من بأس الله تعالى. قال سبحانه: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون (٤)﴾ [غافر].

ويؤيد ذلك ما رواه أحمد والترمذي عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ ذكر باباً من قبل المغرب يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاماً. مفتوحاً للتوبة ، لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها. وقال عنه الترمذي حسن صحيح. وفي رواية لهما: " أن الله عز وجل جعل في المغرب باباً عرضه مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله". وقال الترمذي عنه حسن صحيح ، وقد رواه ابن ماجة في سننه بنحوه . إتحاف الجماعة ٢٠٢/٣.

الثانية: ما جاء في خروج الدابة من الأرض، قال تعالى: ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون(٢٧) ﴾ [النحل]. والدابة خلق من خلق الله لا يُدرى كنهها، ولا يدرك سرها والله أعلم بحقيقتها. إلا أن الحق الذي لا مراء فيه أنها خارجة إن شاء الله كما أخبرنا سبحانه وتعالى، لتميز المؤمن من الكافر، فتخطم أنف الكافر، وتجلو وجه المؤمن. كما أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ وقد ذكرنا بعضاً منها.

قال الألوسي رحمه الله في تفسيره ٢١/٢٠" والحق أنها تخرج وفي الناس مؤمن وكافر، ويدل على ذلك ما أخرجه أحمد والطيالسي، والترمذي وحسنه، وابن ماجة، والبيهقي في كتاب "البعث"، وابن المنذر، وابن أبي حات،م وابن مرديه، وابن جرير، ونعيم بن حماد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: " تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان. فتجلو وجه المؤمن بالخاتم وتخطم أنف الكافر بالعصا، حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر ". وقد اختلفت الروايات فيها قليلاً مع أن الراوي واحد، فرواية أبي هريرة هذه تناقض بعض الشيء روايته التي أخرجها أحمد، والترمذي، وابن جرير، والبغوي، والحاكم في مستدركه ولم يشر إليها بشيءٍ وحسنها الترمذي.

وجاء فيها: "فتخطم أنف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا... الحديث".

فقوله في الحديث الأول تجلو وجه المؤمن بالخاتم وتخطم أنف الكافر بالعصا أليق بالمؤمن من أن تجلو وجهه بالعصا، وأزرى بالكافر أن تخطم أنفه بالعصا. قال ابن كثير في معرض تفسيره للآية السابقة ٦٨٢/٢ من المختصر .. هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وركوبهم للمعاصي، وتركهم أوامر الله وتبديلهم للدين الحق. قبل أن تخرج من مكة وقيل من غيرها ، فتكلم الناس أي تخاطبهم مخاطبة" بتصرف. والظاهر والله أعلم أن خروج الدابة تالٍ لطلوع الشمس من مغربها، لأن باب التوبة يغلق بهذا التغير في نظام الكون. فتأتي الدابة فتميز بين المؤمن والكافر . ثم تأتي الريح الطيبة من قبل الشام أو اليمن فتقبض أرواح المؤمنين ولا يبقى في الأرض إلا لكع ابن لكع، عليهم تقوم الساعة نعوذ بالله أن ندركها ".

وأخرج عبد بن حميد والطبري بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "إذا خرجت أول الآيات طُرحت الأقلام وطويت الصحف وخلصت الحفظة" وشهدت الأجساد على الأعمال". قال ابن حجر هذا الأثر له حكم الرفع إلى النبيﷺ.
فهذه الآثار متفقة على أن الشمس إذا طلعت من مغربها أغلق باب التوبة حتى قيام الساعة. وأنها قريبة جداً بحيث لا يوجد عند ذلك مولود لأن العدل الإلهي يأبى أن يؤخذ الولد بجريرة أبيه والله أعلم.

الثالثة: الريح الطيبة: تقدم في ذلك حديثان الأول حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في ذكر الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وفيه " فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله ريحاً طيبة تأخذ أرواح المؤمنين من تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مسلم ومؤمن. ويبقى شرار الناس. يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة". رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجة وصححه الترمذي. والثاني : حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، في ذكر الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج . وفيه:" ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته.. الحديث". رواه أحمد ومسلم والنسائي .

وهذه الريح الطيبة تكون بعد هلاك قوم يأجوج ومأجوج وبعد وفاة عيسى عليه السلام ويصلي عليه المسلمون ويدفن بجوار النبي صلى الله عليه وسلم. ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة يتنعمون بخيرات الأرض وبركاتها. وتنزع من كل ذات حمة حمته. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته". أخرجه مسلم ، وفي رواية أخرى يبعث الله ريحاً باردة من الشام". يحتمل أنهما ريحين شامية ويمانية، وهذه الريح هي الأخيرة من أشراط الساعة المؤذنة بقربها. فهي كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلاً أو نهاراً ، كما مر معنا في الحديث، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة وهذه الريح تكون بعد خروج الدابة التي تخطم أنف الكافر وتجلو وجه المؤمن . أما الريح الأولى فتكون بعد مهد عيسى عليه السلام والله أعلم.

الرابعة : آية النار : عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللاة والعزى. فقلت يا رسول الله: إن كنت لأظن حين أنزل الله " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" أن ذلك تاماً– قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله" ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه. فيرجعون إلى دين آبائهم" رواه مسلم.

فإذا أذن الله بخراب هذا العالم والانتقال إلى العالم الآخر عالم الجزاء والبقاء تكون أول العلامات على ذلك نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى محشرهم.

– وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات.. فذكر الحديث وفيه: نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس ، تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا". رواه أحمد ومسلم وأهل السنن إلا النسائي. وقال الترمذي حسن صحيح. وفي رواية لمسلم: " وآخر ذلك نار تخرج من اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر" .

- وعن أنس رضي الله عنه : أن عبدالله بن سلام رضي الله عنه أتى رسول الله ﷺ مقدمه المدينة فقال: إني سائلك عن ثلاث خصال، لايعلمهن إلا نبي . قال :"سل". قال: ما أول أشراط الساعة.. فذكر الحديث وفيه أن النبي ﷺ قال: أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق تحشر الناس إلى المغرب.. ". رواه أحمد، والبخاري، وابن حبان في صحيحه. وأما اختلاف الروايات من المشرق إلى المغرب وفي بعض من قعر عدن فقد وفق ابن حجر رحمه الله بينهما بقوله في "الفتح" ٣٧٨/١١: وظهر لي أن كونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب" وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، تحشر الناس إلى أرض المحشر في بلاد الشام وكيفية الحشر لا يعلمه إلا الله". بتصرف قليل.

- أما الخسوفات الثلاثة التي جاءت في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدجال، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم ".

الظاهر أنها خسوف تغاير ما نعهده مما يقع كثير منه في بلاد العالم. بل لا يكاد يمضي شهر أو أسبوع إلا ونسمع بزلزال أو ثورة بركان في المشرق أو المغرب. وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ:" لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم، ويتقارب الزمان ، وتكثر الزلازل وتظهر الفتن، ويكثر الهرج ". قيل وما الهرج يا رسول الله ؟ قال :" القتل". رواه أحمد والبخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه . إتحاف الجماعة ٢٣٨/٢.

- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ:" يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف". قالت: قلت يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا ظهر الخبث". رواه الترمذي وقال عنه حديث غريب .

- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب". قلت: يا رسول الله، أيخسف بالأرض وفيها الصالحون؟ قال: " نعم، إذا أكثر أهلها الخبث"
رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات.

هذه الخسوف التي أشار إليها النبي ﷺ لعلها تحدث نتيجة حرب نووية تدمر الحضارة في الشرق والغرب على السواء ولعلها قبل عودة الخلافة الراشدة. أما الخسف بجزيرة العرب فلعله بالجيش الذي يغزو مكة والله أعلم. أو يحدث الخسف نتيجة زلازل أرضية أو قدرة إلهية. والله أعلم.

الخامسة : النفخ بالصور هما نفختان: قيامٌ للساعة وخراب لهذا العالم الفاني، وعمارة للعالم الباقي.

الأولى: نفخة الصعق: يقول سبحانه: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله(٦٨) ﴾ [الزمر]. هذه النفخة يصعق فيها جميع من في السموات ومن في الأرض. إلا من شاء الله، من الملائكة المقربين ثم يتوفاهم ا لله ويتحقق قوله سبحانه: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه(٨٨) ﴾ [القصص].

النفخة الثانية: نفخة البعث يحيي الله سبحانه إسرافيل عليه السلام ويأمره بنفخة البعث ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون(٦٨) ﴾ [الزمر].

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون منه كما ينبت البَقْل في حَمَأ السيل. وليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى إلا عجب الذنب. منه يركب الخلق يوم القيامة.." وقال بين النفختين أربعون قيل أربعون سنة أو شهراً أو يوماً، قال أبيت" متفق عليه.

وعجب الذنب ليس هو العصعص بل هو الذرَّةُ الأصلية التي انحدرت إلينا من أبينا

آدم عليه السلام أوصلها الله إلينا بالتناسل. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (١٧٢) ﴾ [الأعراف].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: " إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفه فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرها بين يديه ثم كلمهم ألست بربكم...؟ قالوا : بلى شهدنا على أنفسنا ". أخرجه أحمد والنسائي والحاكم وابن أبي حاتم. ويدل على ذلك أيضاً أن الإنسان خلق من الذرة ما أخرجه مسلم وأبي ذر والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ :" كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب".

ومعلوم قطعاً أن الإنسان لم يخلق من عظم العصعص وإنما من عجب الذنب وهي الذره الأصلية الكامنة في النطفة والله أعلم. انظر "أشراط الساعة" / محمد سلامة جبر ص ٩٣ وما بعدها.

أما متى تقوم الساعة..؟ فقد وجه سبحانه وتعالى رسوله إلى الإجابة عنها بقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها . . قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو (١٨٧) ﴾ [الأعراف]. وقد قيل أنها تقوم في نحو الألف والخمسمائة كله تقريب لا تحديد. ومبناه على الظن لا على اليقين، ولكن اليقين أننا من الساعة قريب. وداعي الحق ينادي ولا مجيب. إلا من رحم ربك. اللهم اجعلني وإخواني المؤمنين ممن شملته رحمتك يا حي يا قيوم. إنك بالإجابة جدير وعلى المثوبة قدير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

معاني المفردات

كَفَرْسَى:	كموتِ نفسٍ واحدة.
غاية:	راية.
يأرز:	يعود.
بند:	راية.
مرج ذي تلول:	أرض البقاع من لبنان.
الثنن:	فوق الحاقر السنابك.
الأعماق أو عميق أنطاكية:	دابق وتسمى الآن المسلمية.
هجيري:	صياح.
عقبة أفيق:	قرية من هضبة الجولان تشرف على بحيرة طبريا.
مهرودتين:	أي ثوبين مصبوغين.
فج الروحاء :	موضع بين مكة والمدينة.

الخاتمـــة

وبعد.. الحمد لله الذي جعل العلم نوراً، والقـرآن والحكمـة هـدى مسـطوراً. ننهـل منهما ما شاء الله آماداً ودهوراً.

ولقد هالني ما وصل إليه حال المسلمين فرقة وتخلفاً وضياعاً. وبعداً عن الهدى وعبادة ا لله. لقد انبهر معظم المسلمين وافتتنوا بما عند أعدائنا من علم عن ظاهر هذه الحيـاة الدنيـا وهم عن الآخرة غافلون. فأردت أن أذكر نفسي واخواني المسلمين وهم يمرون بمرحلة من أخطر مراحل التاريخ تحيط بنا معسكرات الكفر والإلحاد مُدَجّجة بأقوى الأسلحة، وأفتك المعدات. من قنابل نووية وأسلحة جرثومية وأخبث الأفكـار والثقافـات، وأمكـر العقـول وأخدع السياسات . فلا غرو فإن إبليس وجنوده من الشـياطين يؤزونهـم علـى المسـلمين أزاً. فلا عدو لهم إلا الإسلام وأهله ونحن كالأيتام على مآدب اللئام.

وإن ما يخططه لنا أعداؤنا من كيد وبغضٍ وعولمةٍ تذهب بمقدراتنـا وثقافتنـا وأعرافنـا ومقومات ديننا ليهون أمامه جميع ما مر على أمتنا من نكبات، ومع ذلك فإن هذا لن يفت في عضد أبناء أمتنا ما تدبرنا كتاب الله العظيم وهدي نبينا الحبيب صلى الله عليه وسـلم. فهما يحددان لنا معالم الطريق. والمستقبل المشرق لهذه الأمة، الـتي هـي خـير أمـةٍ أخرجـت للناس ما دام فينا من يأمر بمعروف وينهى عن منكر. بعكـس الأمـم الأخـرى "لا يتنـاهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون"، والأنكى من ذلك أنهم يحلون مـا حُـرم عيهـم في كتبهم المقدسة. ولقد عشت أياماً وشهوراً ممتعة، يشوبها شيء مـن الأسـى والحـزن، وأنـا أتدبر أحاديث المصطفى ﷺ وهو يحدث عن مستقبل هـذه الأمـة. ومـا آل إليـه أمرهـا مـن فرقة وتمزق وبعدٍ عن منهج دينها الذي رسمه لها خالقها، فأدليت بدلوي مع الـدلاء، لعلـي أجد في نفوس بعض المسلمين ردة وانعطافاً إلىدينهم العظيم ثقة وأملاً به فالنصر والتمكين

لدين الله والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين به قادمان لا محالة بنا أو بغيرنا. قال تعالى: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (٣٨) ﴾ [محمد].

وستبقى بقية أهل الإيمان تنافح عن الحق وعن الإسلام ضد باطل العلمانية والعولمة والرأسمالية حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك منصورون بإذن الله.

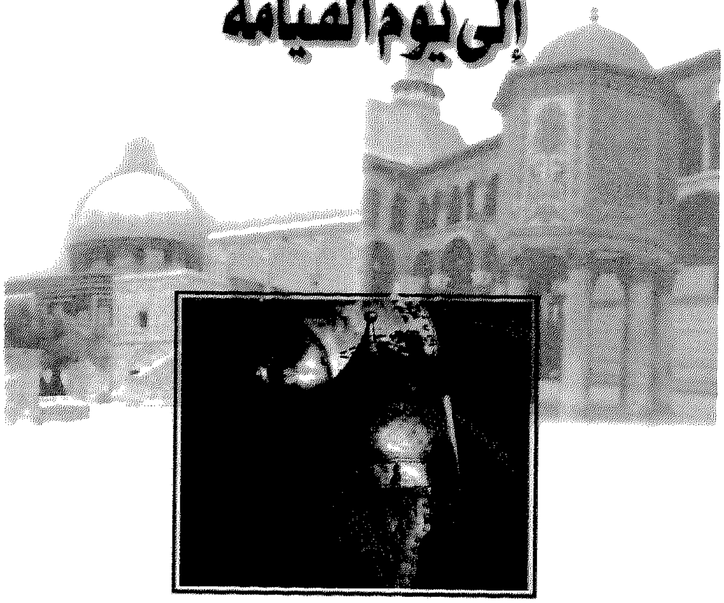
ولقد حاولت في هذا البحث أن أقدم صورة عن فضائل بلاد الشام وأنها أرض رباط وجهاد وحسم لأهم معارك التاريخ إلى أن يكتب الله لها النصر والتمكن في الأرض. فإن وفقت فذلك فضل من الله وإن أخطأت أسأل الله أن يغفر لي ما زل به القدم. وطغى به القلم. إنه بالاجابة جدير وعلى حسن المثوبة قدير. وحسبي الله ونعم الوكيل".

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله يوم الجمعة العاشر من رجب
سنة ألف وأربعمائة وتسعة عشر هجرية
الموافق ١٩٩٨/١٠/٣٠م.

فهرس

بلاد الشام
أرض رباط وجهاد وحسم إلى يوم القيامة



دار عمار للنشر والتوزيع
عمّان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجيري
تلفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ - ص.ب ٩٢١٦٩١ عمّان ١١١٩٢ الأردن

Bibliotheca Alexandrina
0261827